منهج القرآن الكريم في التربية الوقائية من الأوبئة والأمراض

"دراسة موضوعية"

إعداد الدكتور

محمد فضل محمود نور الدين

المدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن

كلية أصول الدين بالقاهرة

جامعة الأزهر

منهج القرآن الكريم في التربية الوقائية من الأوبئة والأمراض

«دراسة موضوعية»

محمد فضل محمود نور الدين

قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين بالقاهرة، جامعة الأزهر، مصر

البريد الإلكتروني: mfadl66@yahoo.com

ملخص البحث

القرآن الكريم هو الحصن الحصين والركن الركين، وهو علاج كامل وشامل لجميع الأمراض الجسدية والنفسية، ومن واجب الإنسان أن يحافظ على صحته وأن يقيها من الأوبئة والأمراض لأنها من أعظم نعم الله ﷻ، فكان الإرشاد الصحي للمسلم يأتيه من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، لذا جاءت هذه الدراسة بعنوان:«منهج القرآن الكريم في التربية الوقائية من الأوبئة والأمراض (دراسة موضوعية)»،

وتهدف هذه الدراسة إلى بيان معالم التربية الوقائية في القرآن الكريم وكيفية مواجهته للأوبئة والأمراض، وذلك من خلال إبراز ما جاء في القرآن من هدايات وأساليب تربوية وقائية.

وقد توصل البحث إلى عدة نتائج من أبرزها: أن الحفاظ على النفس الإنسانية وسلامتها من الأوبئة والأمراض مقصد أساسي وضرورة حتمية من ضرورات الشرع الشريف، وأن المنهج القرآني التربوي الوقائي يتسم بسمات متعددة جعلته ينفرد عن أي منهج آخر في أي زمان ومكان، وأن الإسلام بتعاليمه القرآنية والنبوية قد سبق كل المنظمات في حرصه على وضع ضوابط الحفاظ على النفس البشرية ووقايتها من الأوبئة والأمراض.

الكلمات المفتاحية: المنهج، التربية الوقائية، الأوبئة، الأمراض، الطاعون.

.

The Approach of the Holy Qur'an in preventive Education against Epidemics and Diseases An objective Study

By: Mohammed Fadle Mahmoud Nour El- Deen
Department of Interpretation and Qur'anic Sciences
Faculty of Osoul El- Deen in Cairo
Al-Azhar University
Egypt

Abstract

The Holy Qur'an embodies the immune fortress and the corner stone. It is also a complete and comprehensive remedy for all physical and psychological diseases. It is man's duty to preserve his health and protect it from epidemics and diseases as it is one of the greatest blessings of Almighty Allah. Henc, health guidance for a Muslim comes out through Quranic verses and Prophetic traditions. Accordingly, this research is entitled "The Approach of the Holy Qur'an in preventive Education against Epidemics and Diseases 'An objective Study'. " This research aims at explaining the characteristics of preventive education in the Holy Qur'an and how to face epidemics and diseases through highlighting the guidance and preventive educational methods mentioned in the Qur'an. This research has found out several results, the most prominent of them are summed up as follows. First, preserving the human self and its safety from epidemics and diseases is a main objective and an inevitable necessity among the necessities of the noble Sharia, and that the Qur'anic preventive educational approach is characterized by multiple features that make it different from any other approach at any time or place, and that Islam with its Qur'anic and prophetic teachings have preceded all organizations in their keenness on establishing controls to preserve the human self and protect it from epidemics and diseases.

Keywords: approach, preventive education, epidemics, diseases, plague..

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمـــة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، ونفى عنه الشك والارتياب، وأودعه من العلوم العجب العجاب، وجعله هدى للناس وبينات بأبلغ لسان وأوضح خطاب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الوهاب، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه إلى يوم المآب، أما بعد:

فإن من أعظم الدلائل البينات والآيات المعجزات التي أيد الله بها نبيه محمداﷺ القرآن الكريم، فهو العصمة الواقية، والنعمة الباقية، والحجة البالغة، والدلالة الدامغة، وهو شفاء الصدور، والحَكَم العدل عند مشتبهات الأمور، وهو منبع الهداية، وطريق السعادة، منه تُستنبَط الأحكام، وبه يُعرَف الحلال من الحرام، وهو دستور الخالق لإصلاح الخلق، وقانون السماء لهداية الأرض، أنزله الله تعالى منهجا للعباد يحكمون به حياتهم، ويضبطون به تصرفاتهم، ويطبقونه واقعا عمليا في جميع شؤونهم، وضمنه منهجا تربويا واضح المعالم يقود من اتبعه إلى سعادة الدارين، فكل بركة وسعادة تنال في الدنيا والآخرة فسببها الاهتداء به واتباعه، قال تعالى فيه: ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(١).

أنزل الله القرآن الكريم تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين، فكان المنهاج والمرجع الذي يهدي المؤمنين إذا الجاحدون ضلُّوا، ويبصرهم بالحق إذا الجاهلون عَمُوا، تستنير بتعاليمه عقولهم، وتسكن بتلاوته قلوبهم، قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٢)، شفاء من كل داء، ورحمة من كل بلاء، إذا تلاه المكروب انفرج كربه، واتسع صدره، ولا غَرْو فهو كلام الله الشافي الكافي الذي ذكره نور، وسماعه سرور، وهديه شفاء لما في الصدور.

---

(١) سورة:(المائدة)، الآية:(١٦).

(٢) سورة:(الإسراء)، من الآية:(٨٢).

لقد ضعفت الأمة الإسلامية وظهرت فيها المشاكل والابتلاءات حينما ابتعد الناس عن الارتباط بالقرآن الكريم وتطبيق منهجه في حياتهم، فالقرآن سبب لترقية الروح وتهذيب السلوك، وهو علاج شامل لكل مشاكلنا وقضايانا ولكل ما يصيبنا من مصائب وأزمات وأوبئة وأمراض.

والمتأمل في القرآن الكريم يجده زاخرا بالتوجيهات والوصايا الوقائية التي تؤكد أن الوقاية الصحية في الإسلام تهدف إلى قطع الطريق على العلة قبل حدوثها، وتقي الأفراد والمجتمع منها قبل وقوعها، قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[1]، فالوقاية من الأمراض والأضرار مبدأ إسلامي أصيل يدخل ضمن المقصد العام الذي وُضِعَت الشريعة الإسلامية من أجله، وهو جلب المصالح للخلق ودرء المفاسد عنهم، ولأجل ذلك أسس القرآن الكريم قواعد الطب الوقائي وجعلها جزءا من تعاليمه وعقيدته، وظهرت هذه القواعد واضحة في أحاديث النبي ﷺ وتوجيهاته.

ومساهمة مني في خدمة هذا الكتاب العزيز أحببت مستعينا بالله تعالى مع اعترافي بعجزي وتقصيري تقديم هذا البحث الذي جاء بعنوان: «**منهج القرآن الكريم في التربية الوقائية من الأوبئة والأمراض دراسة موضوعية**»، والذي يتبين من خلاله معالم التربية الوقائية في القرآن الكريم وكيفية مواجهته للأوبئة والأمراض، وإبراز ما جاء في القرآن من هدايات وأساليب تربوية وقائية.

أولا: أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

لقد نبعت فكرة البحث تبعا لدواعي مختلفة من أهمها ما يلي:

أولا: ارتباط هذا الموضوع بالواقع المعاصر الذي نعيشه ارتباطا وثيقا، حيث نرى انتشار الأوبئة والأمراض التي لم تكن في أسلافنا، فكان هذا البحث إسهاما متواضعا مني للإصلاح، أسأل الله الإخلاص والقبول.

ثانيا: حاجة المكتبة القرآنية لمثل هذه الموضوعات لاسيما في ظل واقعنا المعاصر، والتي تغطي هذا الموضوع من ناحية تفسيرية موضوعية تسهم في إبراز ما جاء في القرآن الكريم من هدايات وأساليب تربوية.

---

(١) سورة:(البقرة)، من الآية:(١٩٥).

ثالثا: ضعف الإيمان والوازع الديني المتمثل في حالة الخوف والهلع التي تصيب الكثير من الناس بسبب انتشار الأوبئة والأمراض، فجاءت هذه الدراسة لبيان أن القرآن الكريم علاج شامل لجميع الأمراض الجسدية والنفسية، وهو ملاذ الخائفين، والحصن الحصين والركن الركين، أنزله الله تعالى إلى الإنسان ليتولاه برعايته، ويرشده إلى ما فيه خيره وسعادته.

رابعا: بيان إعجاز القرآن الكريم ومنهجه التربوي في وقاية المسلم والمجتمع كله من الأمراض الفتاكة والأوبئة القاتلة، لذا وجدت في نفسي رغبة شديدة في الحديث عن هذا الموضوع.

خامسا: الدعوة إلى التعرف على قواعد الإسلام الصحية لمواجهة الأوبئة والأمراض كي يدرك الجميع شمول الإسلام لأمور الدين والدنيا.

سادسا: قلة الدراسات القرآنية التي تُعنَى بهذا الجانب وتعالج واقع الناس اليوم وتلامس حاجاتهم مهتدية بكتاب ربهم.

ثانيا: الدراسات السابقة:

من خلال البحث في الوسائل المتاحة لدي لم أقف على بحث تناول نفس العنوان تناولا مركزا أو بحثه بحثا علميا معمقا من خلال آيات القرآن الكريم، في حين أنني قد وقفت على بعض عناوين الرسائل التي تناولت دراسة هذا الموضوع لكن من جانب السنة النبوية، منها على سبيل المثال:

- الوقاية الصحية في السنة النبوية دراسة موضوعية، رسالة ماجستير للطالب/ العيد بلالي، بكلية العلوم الإسلامية بجامعة الجزائر.

- الطب الوقائي في السنة النبوية، رسالة ماجستير للطالبة/ هند الزبير بابكر سليمان، بكلية الآداب قسم الدراسات الإسلامية بجامعة الخرطوم، وغير ذلك من الموضوعات التي تناولها بعض الباحثين الذين كتبوا في الطب النبوي والإعجاز العلمي في السنة النبوية المطهرة.

ثالثا: منهج البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن أتبع فيه المنهج (الاستقرائي الاستنباطي التحليلي)، والذي يتمثل في جمع المادة العلمية من مصادرها الأصلية المختصة -ما أمكنني ذلك- مع الاستشهاد في كل مبحث من

المباحث بالنصوص القرآنية والنبوية التي لها صلة بموضوع البحث، وترتيبها ودراستها دراسة موضوعية مدعما ذلك بأقوال علمائنا، ومن ثَم استنباط جوانب التربية الوقائية من خلال إيراد هذه النصوص والأقوال.

رابعا: خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يتكون من (**مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهارس عامة**) كما يلي:

-**المقدمة**: وتشمل (أهمية الموضوع وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته).

-**التمهيد**: ويشمل مطلبين:

المطلب الأول: التعريف بمفردات عنوان البحث.

المطلب الثاني: لمحة تاريخية عن أشهر الأوبئة التي تصيب البشرية.

المبحث الأول: عناية الإسلام بالصحة العامة ومشروعية الوقاية من الأوبئة والأمراض.

المبحث الثاني: سمات المنهج القرآني الوقائي وخصائصه.

المبحث الثالث: معالم التربية الوقائية في القرآن الكريم، ويشمل مطلبين:

المطلب الأول: معالم وقائية خاصة بالفرد.

المطلب الثاني: معالم وقائية خاصة بالمجتمع.

المبحث الرابع: قواعد قرآنية وقائية، ويشمل مطلبين:

المطلب الأول: الجانب العقدي وأثره في التعامل مع الأوبئة والأمراض.

المطلب الثاني: الجانب الإيماني وأثره في التعامل مع الأوبئة والأمراض.

هذا وقد حرصت على إخراج هذا البحث بصورة نافعة جامعة وواقعية قدر المستطاع، وذلك بالوقوف على معظم كليات الموضوع وجزئياته من جميع جوانبها، ولا أدعي في ذلك الكمال فإنه من صفات الكبير المتعال، والنقص والتقصير من صفات البشر، والله تعالى أسأل أن يجعله عملا صالحا ولوجهه خالصا.

وها أنا أشرع في بيان ذلك سائلا الله العلي القدير أن يسدد قلمي، ويقوي حجتي، ويمنحني الإخلاص في قولي وعملي، وأن لا يكلني إلى نفسي طرفة عين ولا أقل من ذلك، فإنه لا أضعف من عبد تخلى الله عنه ولم يؤيده، فهو ﷻ حسبنا ونعم الوكيل، وهو نعم المولى ونعم النصير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التمهيـــد

المطلب الأول: التعريف بمفردات عنوان البحث.

إن أول قضية ينبغي الحديث عنها هي معرفة المصطلحات؛ لأن تحديد المصطلحات وبيان مفهومها أساس يُبنَى عليه ما يتبعه من خطوات، ولما كان موضوع هذه الدراسة هو «**منهج القرآن الكريم في التربية الوقائية من الأوبئة والأمراض**»، لذا كان لزاما تحديد مصطلحات البحث وبيان مفرداته على النحو التالي:

تعريف المنهج لغة واصطلاحا:

المنهج في اللغة: مشتق من النَّهْج بمعنى:(الطريق)، يقال:(نَهَجَ فلان الطريق): بيَّنَه، وهو منهاج مستقيم[١].

قال ابن منظور: طريق نَهْج: بيِّن واضح، ومنهج الطريق: وضَحُه، والمنهاج كـ(المنهج)، وفي التنزيل:﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[٢] أي: لكل قوم منكم جعلنا طريقا إلى الحق يؤمه، وسبيلا واضحا يعمل به[٣] ، واستنهج الطريق: صار نَهْجا، والنَّهْج: الطريق المستقيم، ونَهَجَ الأمر وأَنْهَجَ: لغتان، إذا وَضُحَ[٤].

من خلال ما سبق: يتبين أن المنهج في أصله اللغوي يدور حول الطريق الواضح البيِّن المتَّبَع من قِبَل سالكه أو السائر فيه للوصول إلى غاية معينة أو هدف محدد واضح.

المنهج في الاصطلاح: تنوعت وتعددت عبارات الباحثين في دلالة المنهج في الاصطلاح العلمي، ومما قيل في تعريفه أنه: وسيلة محددة توصل إلى غاية معينة، أو: مجموعة أفكار أو مبادئ مرتبطة ومنظمة[٥].

---

(١) مجمل اللغة (ص: ٨٤٥)، مادة:(نَهَجَ).

(٢) سورة:(المائدة)، من الآية:(٤٨).

(٣) جامع البيان (١٠/ ٣٨٤).

(٤) لسان العرب (٢/ ٣٨٣) فصل النون، مادة:(نَهَجَ) بتلخيص.

(٥) معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ٢٢٩١).

وعرفه د/ عبد الرحمن بدوي بأنه:«الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل، وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة»(١).

وعرفه د/ غازي حسين عناية بأنه:«الطريق أو الأسلوب الذي يسلكه الباحث العلمي في تقصيه للحقائق العلمية في أي فرع من فروع المعرفة، وفي أي ميدان من ميادين العلوم النظرية والعلمية»(٢).

من خلال ما سبق يتبين ما يلي:

١) التعريفات الاصطلاحية للمنهج لا تبعد كثيرا عن التعريف اللغوي، فهي تدور في فَلَك الطريقة أو الأسلوب أو الوسيلة المحددة الواضحة التي تؤدي إلى غاية معينة وغرض مطلوب، فالخطط والأفكار والمبادئ والوسائل كلها طرق معنوية توضح السبيل وتكشف عن الغايات.

٢) كلمة المنهج في الاصطلاح عُرِّفَت بتعريفات عدة، وهذه التعريفات متقاربة من حيث الدلالة والمعنى، ولعل ذلك ناشئا من اختلاف أنظار المعرِّفين واتجاهاتهم نتيجة اختلاف متطلبات موضوعاتهم وترتيب أفكارهم، فنتج عن ذلك أن المنهج: هو الموجِّه العملي لقواعد تعصم عند مراعاتها الفكر من الخطأ، وسبل يسلكها الباحث للوصول إلى الحقائق في أي مجال من مجالات العلوم والمعارف(٣).

تعريف القرآن لغة واصطلاحا:

القرآن الكريم أسمى وأشهر من أن يُعَرَّف، ولكن جرى العرف عند علمائنا أن وضعوا له تعريفا جامعا مانعا، فقالوا: **القرآن في اللغة**: مصدر مرادف للقراءة، ومنه قوله تعالى:﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾(٤)، ثم نُقِلَ من هذا المعنى المصدري وجُعِلَ اسما للكلام المعجز المنزل على النبي ﷺ من باب إطلاق المصدر على مفعوله.

---

(١) مناهج البحث العلمي (ص:٥).

(٢) مناهج البحث العلمي في الإسلام (ص:٧٩).

(٣) الأسس المنهجية عند المحدثين (١/ ٧٧٠).

(٤) سورة:(القيامة)، الآيتان:(١٧، ١٨).

القرآن في الاصطلاح: الكلام المعجز المنزل على النبي ﷺ المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته[١].

تعريف التربية لغة واصطلاحا:

التربية في اللغة: الناظر في معاجم اللغة يجد أن لفظ التربية يدور حول عدة أمور ملخصها ما يلي:

١- الإصلاح: فـ(رَبَّ الشيءَ) أي: أصلحه[٢].

٢- الحفظ والرعاية: فنعمة تَرُبُّها، أي: تحفظها وتراعيها وتُرَبِّيها[٣].

٣- النماء والزيادة: فـ(رَبَا الشيءَ يربُو ربْوًا) أي: زاد[٤].

٤- السياسة وتولِّي الأمر: يقال:(رَبَبْتُ القوم: سُسْتُهم) أي: كنت فوقَهم[٥].

٥- التعليم: فلفظ (الرَّبَّانِي) من (الرب) بمعنى: التربية، ويعرف بأنه: العالم الراسخ في العلم والدين، أو الذي يطلب بعلمه وجه الله[٦].

٦- التهذيب: يقال:(ربَّى الأبُ ابنَه) أي: هذَّبه ونمَّى قواه الجسمية والعقلية والخُلُقِيَّة[٧]، قال تعالى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾[٨].

نخلص من خلال ما سبق إلى أن مفهوم التربية في اللغة يحمل الكثير من الدلالات وهي:(الإصلاح، والحفظ والرعاية، والنماء والزيادة، والسياسة وتولِّي الأمر، والتعليم، والتهذيب).

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ١٤-١٩) بتلخيص.

(٢) لسان العرب (١/ ٤٠١)، فصل الراء، مادة:(رَبَبَ).

(٣) المصدر السابق (١/ ٤٠١).

(٤) الصحاح تاج اللغة (٦/ ٢٣٤٩)، مادة:(رَبَا).

(٥) لسان العرب (١/ ٤٠٠)، فصل الراء، مادة:(رَبَبَ).

(٦) المصدر السابق (١/ ٤٠٤)، فصل الراء، مادة:(رَبَبَ).

(٧) المعجم الوسيط (١/ ٣٢٦)، باب الراء، والمعجم العربي الأساسي (ص:٥٠٢)، مادة:(رَبَا).

(٨) سورة:(الإسراء)، الآية:(٢٤).

التربية في الاصطلاح: إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حد التمام[١].

وعرفها علماء التربية الحديثة بأنها:«تغيير في السلوك»، وهذا تعريف فيه قدر كبير من الدقة والصوابية شريطة أن يفهم من السلوك حلقاته الثلاث:(حلقة الإرادة، وحلقة الفكرة، وحلقة الممارسة)[٢].

من خلال ما سبق يتبين أن التربية: هي عملية تغيير في سلوك الإنسان بشرط أن تُحدِث أثرا دائما ومستمرا.

تعريف الوقاية لغة واصطلاحا:

الوقاية في اللغة: الناظر في معاجم اللغة يجد أن لفظ الوقاية يدور حول عدة أمور ملخصها ما يلي:

١ – الصيانة والحماية: يقال:(وقاه الله من السوء ووقاه السوء) أي: كَلَأَه منه، وفي التنزيل العزيز:﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ ﴾[٣]، جاء في القاموس المحيط:«وَقَاه وَقْيًا ووِقَايةً وواقِيةً: صانَه، والوَقَاء، ويُكسَر، والوقاية، مثلَّثة: ما وقَيْتَ به، والتَّوْقِيَة: الكَلَاءَة والحفظ»[٤].

٢ – التحذير والتجنب: ومنه قول النبي ﷺ لمعاذ لما بعثه إلى اليمن:«وتَوَقَّ كرائمَ أموال الناس»[٥].

٣– عدم التعرض للتلف والتحرز من الآفات: يقال:(تَوَقَّهْ) أي: استَبْقِ نفسك ولا تُعَرِّضها للتلف وتَحَرَّز من الآفات[٦].

والحاصل أن لفظ الوقاية في اللغة يطلق ويراد به:(صيانة الشيء وحمايته، والتحذير من الوقوع في الضرر، وعدم التعرض للتلف والتحرز من الآفات).

---

(١) المفردات في غريب القرآن (ص: ٣٣٦)، مادة:(رَبَّ).

(٢) مناهج التربية الإسلامية والمربُّون العاملون فيها (ص: ٧١).

(٣) سورة:(الإنسان)، من الآية:(١١)، وينظر: المعجم الوسيط (٢/ ١٠٥٢)، باب الواو، مادة:(وَقَى).

(٤) القاموس المحيط (ص: ١٣٤٤)، فصل الواو، مادة:(وَقَى) بتلخيص.

(٥) المعجم العربي الأساسي (ص:١٣٢٨)، مادة:(وَقَى)، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ١١٩، ح: ١٤٥٨) عن ابن عباس، كتاب الزكاة، باب: لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة.

(٦) لسان العرب (١٥/ ٤٠١)، فصل الواو، مادة:(وَقَى).

الوقاية في الاصطلاح: يرد مفهوم الوقاية اصطلاحا في الكتب التي عُنِيَت بالطب الوقائي في الإسلام، حيث تذكر مصطلح (الطب الوقائي) بدلا من (الوقاية الصحية)، لذا يمكن تعريفها بأنها:

- العلم المتعلق بمنع انتشار الأمراض الجرثومية والنفسية والعضوية لتحسين أداء الأفراد والمجتمعات[١].

- أو: علم وفن الوقاية من الأمراض وتقوية الصحة سواء على مستوى الفرد أو المجتمع[٢].

- أو: علم المحافظة على الفرد والمجتمع في أحسن حالاته الصحية، ويقوم الطب الوقائي لتحقيق هذا الهدف على مجموعة من التعاليم والإرشادات والإجراءات لوقاية الإنسان من الأمراض السارية والوافدة قبل وقوعها، ومنع انتشار العدوى إذا وقعت[٣].

من خلال تعريف كل من (التربية، والوقاية) لغة واصطلاحا يمكن تعريف (**التربية الوقائية**) كمفهوم فأقول: هي صيانة فطرة الإنسان وحمايتها من الانحراف، ومتابعة النفس الإنسانية بالتوجيهات الإسلامية الربانية عن طريق أخذ الاحتياطات والتدابير الشرعية التي تمنع من التردي في خبائث العقائد والأخلاق وسائر الأعمال، ليظل الفرد على الصراط المستقيم مهتديا للتي هي أقوم في كل جانب من جوانب حياته[٤].

وجاء في معناها أيضا بأنها: الإجراءات والوسائل التربوية التي وضعها الإسلام من أجل صيانة وحفظ المجتمع الإسلامي من كل الأمراض الحسية والمعنوية ليكون المجتمع طاهرا بعيدا عن كل مواطن الفساد والانحلال الخلقي[٥].

ولعل التعريف الأول قد أصاب المفهوم بالشكل الصحيح، حيث ربط التربية الوقائية بالفطرة الإنسانية الربانية والأخذ بالاحتياطات والتدابير الشرعية.

---

(١) تفوق الطب الوقائي في الإسلام (ص:٥).

(٢) مبادئ في الصحة العامة (ص:٨).

(٣) الطب الوقائي في الإسلام (ص: ١١).

(٤) التربية الوقائية في الإسلام (ص: ٤٧، ٤٨).

(٥) أثر التربية الوقائية في صيانة المجتمع الإسلامي (ص: ٢٨).

من خلال ما سبق: يتبين أن التربية الوقائية قد عُرِّفَت بعدة تعريفات تتفاوت قليلا في مدلولاتها، والذي أميل إليه أنها: مجموعة الوسائل والأساليب المتخَذَة لحماية الفرد والمجتمع من المساوئ، وتحذيرهم من الوقوع في المهالك، وصيانتهم من الأمراض الحسية والمعنوية.

وبهذا تكون التربية الوقائية عملية قائمة بذاتها لها أسس وقواعد ومناهج، وتستهدف الأفراد والجماعات من ناحية جسدية وفكرية ومعنوية لحماية الإنسان والحفاظ على صحته وسلامة جسده من العلل والأوبئة والأمراض، وتحقيق ذلك يتم باتباع مجموعة من التعاليم والإرشادات كما سيتضح فيما بعد.

تعريف الأوبئة لغة واصطلاحا:

الأوبئة في اللغة: جمع (وباء)-بالهمز- مرض عام، يُمَد ويُقصَر، ويجمع الممدود على (أوبئة) مثل:(متاع، وأمتعة)، والمقصور على (أوباء) مثل:(سبب، وأسباب)[١] أي: أن لفظ الوباء يجوز فيه القصر فيقال:(وَبَأْ) وجمعه (أوباء)، ويجوز فيه المد فيقال:(وَبَاء) وجمعه (أوبئة)، وهو بالوجهين يطلق على المرض العام الذي ينتشر بسرعة بين الناس.

وقد ورد لفظ الوباء في المعاجم وكتب اللغة لمعان مختلفة منها: أنه كل مرض عام، وقيل: هو الطاعون[٢]، وقيل: الإيماء، فتومئ لمن أمامك بأن تشير إليه بيدك، وتقبل بأصابعك نحو راحتك تأمره بالإقبال إليك، والإيبَاء: أن يكون خلفك فتفتح أصابعك إلى ظهر يدك تأمره بالتأخر عنك[٣].

الأوبئة في الاصطلاح: لقد عرف الأطباء القدماء الوباء بعدة تعريفات تختلف في عبارتها وتتفق في

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٢/ ٦٤٦)، مادة:(وَبَأَ).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١٤٤)، ولسان العرب (١/ ١٨٩)، فصل الواو، مادة:(وَبَأَ).

(٣) المحكم والمحيط الأعظم (١٠/ ٥٦٦)، مادة:(وَبَأَ).

مضمونها، فقد نقل الزَّبيدِي[١] أن ابن النفيس[٢] عرفه بقوله:«الوباء: فساد يعرض لجوهر الهواء لأسباب سماوية أو أرضية، كالماء الآسِن والجِيَف الكثيرة»[٣].

ونقل أيضا أن الحكيم داوود الأنطاكي[٤] عرفه بقوله:«هو حقيقة تغير الهواء بالعوارض العلوية كاجتماع كواكب ذات أشعة، والسفلية كالملاحم، وانفتاح القبور، وصعود الأبخرة الفاسدة، وله علامات منها: الحُمَّى، والجُدَرِي ، والنزلات، والحِكَّة، والأورام، وغير ذلك»[٥].

وعرفه بعض الفقهاء المتقدمين بقوله:«والوباء: كل مرض عام، وقال بعض: هو مرض الكثير من الناس في جهة من الأرض دون سائر الجهات، ويكون مخالفا للمعتاد من الأمراض في الكثرة وغيرها، ويكون نوعا واحدا»[٦].

أما المعاصرون فقد عرفوا الوباء بتعريفات متعددة منها: تعريف معجم اللغة العربية المعاصرة، وقد جاء فيه أن الوباء:«كل مرض شديد العدوى سريع الانتشار من مكان إلى مكان، يصيب الإنسان والحيوان

---

(١) الزَّبيدِي: هو أبو الفيض محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، علامة باللغة والحديث والرجال والأنساب، من كتبه:(تاج العروس في شرح القاموس، وأسانيد الكتب الستة)، وغيرهما، توفي سنة (١٢٠٥هـ). الأعلام (٧/ ٧٠)

(٢) ابن النفيس: هو علاء الدين علي ابن أبي الحزم القَرْشِي -نسبة إلى بلدة قَرْش، بفتح القاف وسكون الراء، فيما وراء النهر- الدمشقي الشافعي، شيخ الطب بالديار المصرية، وصاحب التصانيف، له كتب كثيرة منها:(الموجز في الطب، وبغية الطالبين وحجة المتطببين، وشرح الهداية لابن سينا في المنطق)، وغير ذلك، توفي سنة (٦٨٧هـ). شذرات الذهب (٧/ ٧٠١)، والأعلام (٤/ ٢٧٠)

(٣) تاج العروس (١/ ٤٧٨)، مادة:(وَبَأَ).

(٤) داوود الأنطاكي: هو داوود بن عمر الأنطاكي، عالم بالطب والأدب، ولد في أنطاكية، وحفظ القرآن وقرأ المنطق والرياضيات وشيئا من الطبيعيات، من تصانيفه:(تذكرة أولي الألباب في الطب والحكمة يُعرَف بـ«تذكرة داوود»، وغاية المرام في تحرير المنطق والكلام، ونزهة الأذهان في إصلاح الأبدان، وألفية في الطب)، وغيرها، توفي (١٠٠٨هـ). الأعلام (٢/ ٣٣٣-٣٣٤)

(٥) تاج العروس (١/ ٤٧٨)، مادة:(وَبَأَ).

(٦) شرح مختصر خليل للخرشي (٤/ ١٥٥).

والنبات، وعادة ما يكون قاتلا كالطاعون»[١].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هناك فرقا بين الوباء والطاعون، أما الوباء فقد تقدم تعريفه عند الفقهاء والأطباء، وأما الطاعون بوزن (فَاعُول) من (الطعن)، عدلوا به عن أصله ووضعوه دالًّا على الموت العام كالوباء[٢]، ولذا عرفه بعضهم بقوله:«الطاعون: هو الوباء»[٣]، وعرفه ابن الأثير بقوله:«الطاعون: المرض العام والوباء الذي يفسد له الهواء فتفسد به الأمزجة والأبدان»[٤].

قال ابن حجر:«والحاصل أن حقيقته ورم ينشأ عن هيجان الدم أو انصباب الدم إلى عضو فيفسده، وأن غير ذلك من الأمراض العامة الناشئة عن فساد الهواء يسمى طاعونا بطريق المجاز لاشتراكهما في عموم المرض به أو كثرة الموت»[٥].

بالنظر في التعريفات السابقة لكل من الطاعون والوباء نلاحظ أن هناك اتجاهين في تعريفهما:

الاتجاه الأول: يرى أنه لا فرق بينهما، فالطاعون نوع من أنواع الوباء وفرد من أفراده، وهو ظاهر قول ابن سينا[٦] فيما نقله عنه ابن حجر:«والطواعين تكثر عند الوباء وفي البلاد الوَبِيَّة، ومن ثَمَّ أُطلِق على الطاعون أنه وباء بالعكس»[٧] أي: أن الطاعون يجوز أن يطلق عليه وباء باعتباره أحد أنواع الوباء.

الاتجاه الثاني: يرى أن هناك فرقا بين الطاعون والوباء، وأن بينهما عموما وخصوصا مطلقا، فكل

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ٢٣٩٢)، مادة:(وَبَأَ).

(٢) فتح الباري (١٠/ ١٨٠).

(٣) القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية لابن جزي الكلبي (ص: ٦٦٢).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ١٢٧)، مادة (طعن).

(٥) فتح الباري (١٠/ ١٨٠).

(٦)ابن سينا: هو الفيلسوف أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا، الحكيم المشهور، صاحب التصانيف في الطب والمنطق والطبيعيات والإلهيات، ولد في إحدى قرى بخارى، من تصانيفه:(المعاد، ورسالة في الحكمة، والشفاء، والقانون في الطب، وأقسام العلوم)، وغير ذلك، توفي سنة (٤٢٨هـ). وفيات الأعيان (٢/ ١٥٧)

(٧) الفتاوى الفقهية الكبرى (٤/ ١٢).

طاعون وباء وليس العكس، وهو ما عليه المحققون من الفقهاء والمحدثين[١]، وقد أشار ابن حجر إلى الفرق بين معنى الطاعون والوباء من حيث العموم والخصوص فقال:«ويفارِق الطاعون الوباء بخصوص سببه الذي ليس هو في شيء من الأوباء»[٢]، وقال أيضا معلقا على قول أم المؤمنين عائشة:«قدِمْنا المدينة وهي أوْبَأُ أرض الله»[٣]:«وهذا مما يؤيد أن الوباء أعم من الطاعون، فإن وباء المدينة ما كان إلا بالحمى»[٤].

قال القاضى عياض[٥]:«أصل الطاعون: القروح الخارجة في الجسد، والوباء: عموم الأمراض، فسميت طاعونا لشبهها بالهلاك بذلك، وإلا فكل طاعون وباء، وليس كل وباء طاعونا على ما ذكرناه»[٦].

قال الإمام النووي: وأما الطاعون: فهو قروح تخرج في الجسد فتكون في المرافق أو الآباط أو الأيدي أو الأصابع وسائر البدن ويكون معه ورم وألم شديد، وأما الوباء فقال الخليل وغيره:«هو الطاعون، وقال: هو كل مرض عام»[٧]، والصحيح الذي قاله المحققون أنه مرض الكثيرين من الناس في جهة من الأرض دون سائر الجهات، ويكون مخالفا للمعتاد من أمراض في الكثرة وغيرها، ويكون مرضهم نوعا واحدا

(١) شرح النووي على مسلم (١٤/ ٢٠٤)، وتاج العروس (١/ ٤٧٨)، مادة:(وَبَأَ).

(٢)فتح الباري (١٠/ ١٣٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ٢٣، ح: ١٨٨٩)، كتاب: فضائل المدينة، باب: كراهية النبي ﷺ أن تُعْرَى المدينة.

(٤) فتح الباري (١٠/ ١٣٣).

(٥) القاضي عياض: هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته، كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم، ولد سنة (٤٧٦هـ)، من تصانيفه:«الشفا بتعريف حقوق المصطفى، وشرح صحيح مسلم، والإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع»، وغيرها، توفي سنة (٥٤٤هـ). الأعلام (٥/ ٩٩)

(٦)إكمال المُعلِم بفوائد مسلم (٧/ ١٣٢).

(٧) العين (٨/ ٤١٨).

بخلاف سائر الأوقات فإن أمراضهم فيها مختلفة، قالوا: وكل طاعون وباء وليس كل وباء طاعونا[١].

ولعل مما يدل على تغايرهما -أي: الطاعون والوباء- حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:«على أنقاب المدينة[٢] ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال»[٣]، وحديث عائشة قالت:«قدِمْنا المدينة وهي أوْبَأُ أرض الله»[٤]، فقد صرح الحديث الأول بأن الطاعون لا يدخل المدينة المنورة، بينما دل الحديث الثاني على أن الوباء يدخلها، فدل على أن الوباء غير الطاعون، وأن من أطلق على كل وباء طاعونا فبطريق المجاز[٥]، ولذا عقد شيخ الإسلام ابن حجر فصلا في بذل الماعون قرر فيه:«أن الطاعون غير مرادف للوباء، وإن إطلاقه عليه إنما هو بطريق المجاز لكونه أخص منه»[٦].

وهذا ما استقر عليه الأمر أخيرا، فقد جاء في المعجم الوسيط أن (الطاعون):«داء وَرَمِي وبائي سببه ميكروب يصيب الفئران، وتنقله البراغيث إلى فئران أخرى وإلى الإنسان»[٧]، وأن (الوباء):«الطاعون وكل مرض فاش عام»[٨]، ولعل هذا هو التعريف الاصطلاحي الدقيق للطاعون والوباء والذي يؤيده الطب، فقد جاء على موقع منظمة الصحة العالمية أن «الطاعون مرض مُعْد تسببه بكتيريا حيوانية المنشأ تدعى "اليرسنية الطاعونية"، وتوجد عادة لدى صغار الثدييات والبراغيث المعتمدة عليها، وينتقل هذا المرض بين الحيوانات وإلى الإنسان عن طريق لدغة البراغيث المصابة بعدوى المرض، وبالملامسة

(١) شرح النووي على مسلم (١٤/ ٢٠٤) بتلخيص.

(٢)قوله:«أنقاب المدينة» جمع (نَقَب)-بفتح النون والقاف بعدها موحدة- المراد بها: المداخل، وقيل: الأبواب، وأصل (النَّقَب) الطريق بين الجبلين، وقيل: الطرق التي يسلكها الناس. فتح الباري (٤/ ٩٦)

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ٢٢، ح: ١٨٨٠)، كتاب: فضائل المدينة، باب: لا يدخل الدجال المدينة.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) فتح الباري (١٠/ ١٨١) بتصرف.

(٦) بذل الماعون في فضل الطاعون (ص: ١٠٢).

(٧) المعجم الوسيط (٢/ ٥٥٨).

(٨) المصدر السابق (٢/ ١٠٠٧).

المباشرة للأنسجة الملوثة بعدواه، وباستنشاق الرذاذ المنبعث من الجهاز التنفسي الحامل لعدواه»[١].

الخلاصة:

من خلال ما سبق يتبين أن التعريف اللغوي يتفق مع التعريف الاصطلاحي في كون المرض الوبائي: هو المرض الذي ينتشر بسرعة ويغطي مساحة كبيرة من الأرض، ويهاجم عددا كبيرا من الناس في وقت واحد تقريبا، وهو ما يتفق أيضا مع تعريف الطاعون الذي يطعن الناس أي: ينتشر بينهم ويؤذيهم.

تعريف المرض لغة واصطلاحا:

المرض لغة: السُّقْم[٢]، وهو أصل صحيح يدل على ما يخرج به الإنسان عن حد الصحة في أي شيء كان[٣].

المرض اصطلاح: هو ما يُعرَض للبدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص[٤].

ويعرف أيضا بأنه: خروج الجسم عن حالة الاعتدال التي تعني قيام أعضاء البدن بوظائفها المعتادة، مما يعوق الإنسان عن ممارسة أنشطته الجسدية والعقلية والنفسية بصورة طبيعية[٥].

من خلال ما سبق يتبين أن البحث يدور حول بيان منهج القرآن الكريم في التربية الوقائية من الأوبئة والأمراض من خلال إبراز ما جاء في القرآن من هدايات وأساليب تربوية وقائية، وتوظيف ذلك في الواقع المعاصر كما سيتضح فيما بعد.

(١) ينظر: موقع منظمة الصحة العالمية: www.who.int/features/qa/plague/ar

(٢) الصحاح تاج اللغة (٣/ ١١٠٦)، مادة (مرض).

(٣) مقاييس اللغة (٥/ ٣١١)، مادة (مرض).

(٤) التعريفات (ص: ٢١١).

(٥) الموسوعة الطبية الفقهية (ص: ٨٤٥).

المطلب الثاني: لمحة تاريخية عن أشهر الأوبئة التي تصيب البشرية

الناظر في كتب التاريخ يجد كثيرا من الأخبار عن أوبئة وطواعين نزلت بالبشرية على مر العصور، وقد أدت تلك الأوبئة إلى مرض وموت الآلاف بل الملايين من البشر، ووقع في بلاد المسلمين -خاصة- طواعين ذكرها كُتَّاب السير والتاريخ والتراجم وشراح الحديث، وفيما يلي سرد لبعض تلك الطواعين على سبيل المثال لا الحصر:

١) **طاعون عَمَواس سنة (١٨هـ)**[١]:

هو أول طاعون وقع في الإسلام في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب، ومات في الشام في هذا الطاعون ثلاثون ألفا[٢]، ومات فيه خَلْق كثير لا يحصى من الصحابة، منهم: أبو عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، ويزيد بن أبي سفيان، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وعتبة بن سهيل، وعامر بن غيلان الثقفي، وتفانى الناس منه[٣]، وقيل: عدة من مات في طاعون عمواس خمسة وعشرين ألفا[٤]، وقيل: مات منه سبعون ألفا في ثلاثة أيام، وكان ذلك بعد فتح بيت المقدس[٥].

وعلى هذا فاختلاف تقدير المؤرخين لعدة من مات في هذا الطاعون يدل على كثرة من مات واستُشْهِد، وعلى هول هذا الوباء في ذلك الحين، ولذا قال الإمام الذهبي[٦]:«فاستُشْهِد فيه خَلْق من المسلمين»[٧].

---

(١) عمواس: رواه الزمخشري -بكسر أوله وسكون الثاني- ورواه غيره -بفتح أوله وثانيه، وآخره سين مهملة- وهي كورة من فلسطين قرب بيت المقدس، ومنها كان ابتداء الطاعون المنسوب إليها في أيام عمر بن الخطاب، ومات فيه خَلْق كثير لا يحصى من الصحابة، قيل: مات فيه خمسة وعشرون ألفا، وذلك في سنة (١٨هـ). معجم البلدان (٤/ ١٥٧- ١٥٨)

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢١/ ٢٥٦).

(٣) الكامل في التاريخ (٢/ ٣٧٦).

(٤) المصدر السابق (٢/ ٣٧٩).

(٥) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٥/ ٢٤١).

(٦) الذهبي: هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الذهبي، الإمام المؤرخ، المحدث، المحقق، المتقن الكبير، له تصانيف كثيرة منها:«تاريخ الإسلام»، و«سير أعلام النبلاء»، و«الأمصار ذوات الآثار»، وغير ذلك من المصنفات النافعة المفيدة، توفي سنة (٧٤٨هـ). شذرات الذهب (١/ ٦١)، والأعلام (٥/ ٣٢٦)

(٧) تاريخ الإسلام (٢/ ٩٩).

٢) طاعون الجارف سنة (٦٩هـ):

هذا الطاعون كان في زمن ابن الزبير كما ذكر المؤرخون، وسمي بالجارف؛ لكثرة مَن مات فيه من الناس، ولذا سمي الموت جارفا لاجترافه الناس، وسمي السيل جارفا لاجترافه على وجه الأرض[١]، وقد وقع هذا الطاعون بالبصرة واستمر ثلاثة أيام مات فيها في كل يوم نحو من سبعين ألفا، وأصبح الناس في رابع يوم ولم يبق حيًّا إلا القليل، وقد مات فيه لأنس بن مالك ثمانون ولدا، ويقال: سبعون، ومات لعبد الرحمن بن أبي بكرة[٢] أربعون ولدا، وقلَّ الناس جدًّا بالبصرة وعجزوا عن الموتى[٣].

٣) الوباء العظيم بمصر سنة (٢١٨هـ):

في هذا العام وقع الوباء العظيم بمصر فمات أكثرهم، وغلا السعر هذه السنة، ولم تبق دار ولا قرية إلا مات أكثر أهلها، ولم يبق بمصر رئيس ولا شريف مشهور[٤].

٤) الوباء الشديد بأذربيجان سنة (٢٨٨هـ):

في هذه السنة وقع وباء بأذربيجان ومات منه خلق كثير إلى أن فقد الناس ما يكفِّنون به الموتى، وكانوا يتركونهم على الطرق غير مكفَّنين ولا مدفَّنين[٥].

قال ابن كثير: اتفق في هذه السنة آفات ومصائب عديدة ... ومنها: أن بلاد أذربيجان أصاب أهلَها وباء شديد حتى لم يبق أحد يقدر على دفن الموتى، فتُرِكوا في الطرق لا يوارُون[٦].

---

(١) شرح النووي على مسلم (١/ ١٠٥).

(٢) عبد الرحمن بن أبي بكرة: هو عبد الرحمن بن أبي بكرة الثقفي، أول مولود ولد بالبصرة، تابعي، من رجال الحديث الثقات، ولَّاه علي بن أبي طالب على بيت المال، ثم ولاه ذلك زياد بن أبيه، توفي سنة (٩٦هـ). سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٢٠)

(٣) تاريخ الإسلام (٢/ ٦١٦) بتلخيص.

(٤) المصدر السابق (٥/ ٢٥٢).

(٥) الكامل في التاريخ (٦/ ٥١٨).

(٦) البداية والنهاية (١١/ ٨٤) بتلخيص.

٥) الوباء المُفرِط ببغداد سنة (٣٢٩هـ):

في هذه السنة كان بالعراق غلاء شديد، فاستسقى الناس في ربيع الأول فسُقوا مطرا قليلا لم يجر منه ميزاب[١]، ثم اشتد الغلاء والوباء وكثر الموت حتى كان يُدفَن الجماعة في القبر الواحد ولا يغسَّلون ولا يصلَّى عليهم[٢]، قال الذهبي:«وفيها: كان الوباء المفرط ببغداد، حتى كان يُدفَن في القبر الواحد جماعة»[٣].

٦) وباء سنة (٣٩٥هـ) ببلاد إفريقية:

في هذه السنة كان بإفريقية غلاء شديد، حيث تعطلت المخابز والحمامات، وهلك الناس، وذهبت الأموال من الأغنياء، وكثر الوباء، فكان يموت كل يوم ما بين خمسمائة إلى سبعمائة[٤].

٧) وباء الجُدَرِي سنة (٤٢٣هـ)[٥]:

في هذه السنة كان من الوباء والموت في بلاد الهند وغَزْنَة[٦]، وكثير من أعمال خراسان وجرجان والري وإصبهان ونواحي الجبل والموصل، وأن ذلك زاد على مجاري العادة، وخرج من إصبهان في مدة قريبة أربعون ألف جنازة، وكان ببغداد من ذلك طرف قوي، ومات من الصبيان والرجال والنساء بالجُدَرِي ما زاد علي حد الإحصاء، حتى لم تخل دار من مصاب، واستمر هذا الجدري ... وكان في الصيف أكثر منه

(١) الميزاب: أنبوبة من الحديد ونحوه تُرَكَّب في جانب البيت من أعلاه لينصرف منها ماء المطر المتجمِّع. المعجم الوسيط (١/ ٣٩١)

(٢) الكامل في التاريخ (٧/ ٩٨).

(٣) تاريخ الإسلام (٧/ ٢٢٥).

(٤) الكامل في التاريخ (٧/ ٥٤٠)، والبداية والنهاية (١١/ ٣٣٥).

(٥) الجُدَرِي: مرض جلدي مُعْدٍ يتميز بطفح حليمي يتقيح ويعقبه قشر. المعجم الوسيط (١/ ١١٠).

(٦) غَزْنَة -بفتح أوله، وسكون ثانيه، ثم نون- والصحيح عند العلماء (غَزْنِين): هي مدينة عظيمة وولاية واسعة في طرف خراسان، وهى الحد بين خراسان والهند،مخصوصة بصحة الهواء وعذوبة الماء وجودة التربة، وهي جبلية شمالية بها خيرات واسعة إلا أن البرد بها شديد جدا. آثار البلاد وأخبار العباد (ص: ٤٢٨)، ومراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع (٢/ ٩٩٣).

في الخريف، وجاء كتاب من الموصل أنه مات بالجدري أربعة آلاف صبي[١].

٨) **وباء الخوانيق ببغداد سنة (٤٢٥هـ)**[٢]:

في هذه السنة كثر الموت بالخوانيق حتى كان يُغْلَق الباب على مَن في الدار كلهم موتى، وأكثر ذلك كان ببغداد والموصل، فمات من أهلها في شهر ذي الحجة سبعون ألفا، وكان أكثره في النساء[٣].

٩) **عام الجوع الكبير في سنتي (٤٤٨هـ، ٤٤٩هـ)**: وقد مات فيه أكثر من مليون ونصف مليون إنسان، فأما – سنة (٤٤٨هـ) – فكان القحط شديدا بديار مصر، وشأنه يتجاوز الحد والوصف، وأمْر الوباء عظيم بحيث إنه ورد كتاب فيما قيل من مصر بأن ثلاثة من اللصوص نقَّبوا دارا ودخلوا فوُجِدُوا عند الصباح موتى، أحدهم على باب النَّقْب، والآخر على رأس الدرجة، والثالث في الدار، وكان القحط العظيم بالأندلس، ومات الخلق بإشبيلية، بحيث إن المساجد بقيت مغلقة ما لها من يصلي فيها، ويسمى: عام الجوع الكبير[٤].

وأما –سنة (٤٤٩هـ)– ففيها كان الجهد والجوع ببغداد حتى أكلوا الكلاب والجِيَف، وعظم الوباء، فكانوا يحفرون الحفائر ويلقون فيها الموتى، وأما بخارى وسمرقند وتلك الديار فكان الوباء بها لا يُحَدُّ ولا يوصَف، بل يُسْتَحيَى من ذكره حتى قيل: إنه مات ببخارى وأعمالها في الوباء ألف ألف وستمائة ألف نَسَمَة[٥].

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١٥/ ٢٣٠) بتلخيص.

(٢) الخوانيق: مفرده (خِنَاق): وهو كل داء يمتنع معه نفوذ النفَس إلى الرئة. المعجم الوسيط (١/ ٢٦٠)

(٣) تاريخ الإسلام (٩/ ٣٥١)، والبداية والنهاية (١٢/ ٣٦).

(٤) تاريخ الإسلام (٩/ ٦١٥).

(٥) المصدر السابق (٩/ ٦١٦).

١٠) الشدة المستنصرية بمصر من عام (٤٥٧هـ) إلى عام (٤٦٤هـ):

هي مجاعة حلَّت بالديار المصرية في عهد الخليفة المستنصر بالله[١]، وسميت بـ(الشدة المستنصرية)، وكانت من سنة سبع وخمسين إلى سنة أربع وستين وأربعمائة، ويعتبرها المؤرخون أقسى شدة تعرضت لها مصر عبر التاريخ، وقد وصف المَقريزي[٢] ما حل بها من الغلاء والوباء قائلا: فمات أهلها، وخربت ديارها، وتغيرت أحوالها ... ولم يبق بمصر إلا بقايا من الناس كأنهم أموات قد اصفرت وجوههم، وتغيرت سَحَنُهم[٣] من غلاء الأسعار[٤].

قال الإمام السيوطي:«وفي سنة ستين وأربعمائة كان ابتداء الغلاء العظيم بمصر الذي لم يُسمَع بمثله في الدهور من عهد يوسف الصديق -عليه الصلاة السلام- واشتد القحط والوباء سبع سنين متوالية بحيث أكلوا الجيف والميتات، وأُفنِيَت الدواب»[٥].

١١) الوباء المُفرِط بدمياط سنة (٥٤٦هـ):

في هذه السنة كان الوباء المفرط بدمياط، فهلك في هذا العام والذي قبله بها أربعة عشر ألفا، وخَلَت

---

(١) المستنصر بالله: هو أبو القاسم العباسي أحمد بن محمد الظاهر ابن الناصر المستضئ، أول الخلفاء العباسيين بمصر، دخلها بعد ثلاث سنين من انقراض عباسية العراق، بايعه الظاهر بيبرس بالخلافة ولقبه بـ(المستنصِر)، ولم تطل مدته فقد سيَّره الظاهر في جيش إلى العراق سنة (٦٥٩هـ) لاسترداد بغداد من أيدي التتار، فزحف وحارب التتر وانهزم جيشه وفُقِد هو، ويعدونه الثامن والثلاثين من خلفاء بني العباس. الأعلام (١/ ٢١٩)

(٢) المَقريزي: هو أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني العبيدي تقي الدين المقريزي -بفتح الميم نسبة إلى مَقريز محلة من بعلبك- ولد ونشأ ومات بالقاهرة، من تآليفه كتاب:(المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار)، و(تاريخ الأقباط)، و(تاريخ الحبش)، وغير ذلك، توفي سنة (٨٤٥هـ). الأعلام (١/ ١٧٧)، وهدية العارفين (١/ ١٢٧)

(٣)السَّحَنَة -بالتحريك وقد يسكن -: الهيئة واللون والحال، يقال:(هؤلاء قوم حسن سَحْنَتهم) أي: حسن شَعرهم وديباجة لونهم. الصحاح تاج اللغة (٥/ ٢١٣٣)، وتاج العروس (٣٥/ ١٧٢)، مادة (سَحَن)

(٤) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (١/ ١١) بتلخيص.

(٥) حسن المحاضرة (٢/ ٢٨٧-٢٨٨).

البيوت[١].

١٢) الوباء المفرط بديار مصر في سنتي (٥٩٦هـ، ٥٩٧هـ):

فأما -سنة (٥٩٦هـ)- فكان نقص النيل، والغلاء والوباء المفرط، وخربت ديار مصر، وجلا أهلها عنها، واشتد البلاء في سنة سبع، وأكلوا الجيف، ثم أكلوا الآدميين[٢]، ومات بديار مصر أمم لا يحصيهم إلا الله، وكُسِرَ النيل من ثلاثة عشر ذراعا إلى ثلاثة أصابع، وقيل: لم يكمل أربعة عشر ذراعا[٣].

وأما -سنة (٥٩٧هـ)- ففيها كان الجوع والموت المفرط بالديار المصرية، وجرت أمور تتجاوز الوصف، ودام ذلك إلى نصف العام الآتي، فلو قال القائل: مات ثلاثة أرباع أهل الإقليم لما أبعد[٤].

١٣) وباء سنة (٦٩٥هـ) والذي مات فيه نحو مائة وثلاثين ألف إنسان:

في مستهل هذه السنة كان الغلاء والفناء بديار مصر شديدا جدا، وقد تفانى الناس إلا القليل، وكانوا يحفرون الحفيرة فيدفنون فيها الفِئَام من الناس[٥]، والأسعار في غاية الغلاء، والأقوات في غاية القلة والغلاء، فمات بها في شهر صفر مائة ألف ونحو من ثلاثين ألفا ... وأُفنِيَت الحُمُر والخيل والبغال والكلاب من أكل الناس لها، ولم يبق شيء من هذه الحيوانات يلوح إلا أكلوه[٦].

١٤) الطاعون العام سنة (٧٤٩هـ):

قال الحافظ ابن حجر:«ثم كان الطاعون العام في سنة تسع وأربعين وسبعمائة، ولم يُعهَد نظيره فيما

---

(١) تاريخ الإسلام (١١/ ٧٦٤).

(٢) ما أثبته المؤرخون في مثل هذه الكوارث الإنسانية من أكل لحوم الآدميين إنما هو من باب نقل الأحداث ووصف الواقع بكل دقة وأمانة رغم بشاعته، فليس ثمة دين ولا عُرْف ولا فطرة سوية تقبل هذا، لكنه إن دل على شيء فإنما يدل على مبلغ الفاجعة الإنسانية التي حلَّت بالناس آنذاك، نسأل الله السلامة والعافية.

(٣) تاريخ الإسلام (١٢/ ٩٤١).

(٤) العبر في خبر من غبر (٣/ ١١٧).

(٥) الفِئَام: الجماعة من الناس. لسان العرب (١٢/ ٤٤٧)، فصل الفاء

(٦) البداية والنهاية (١٣/ ٣٤٣) بتلخيص.

مضى، فإنه طبَّق شرق الأرض وغربها حتى دخل مكة المشرفة»[١].

ولم يكن هذا الوباء كما عُهِد في إقليم دون إقليم، بل عم أقاليم الأرض شرقا وغربا وشمالا وجنوبا جميع أجناس بني آدم وغيرهم، حتى حيتان البحر وطير السماء ووحش البر ... وهو الفناء العظيم الذي لم يُعهَد في الإسلام مثله، وكانوا يسمونه (الفصل الكبير)، ويسمونه أيضا بـ(سنة الفناء)[٢].

قال ابن العماد الحنبلي[٣]:«فيها -أي: سنة (٧٤٩هـ)- كان الطاعون العام الذي لم يُسْمَع بمثله، عم سائر الدنيا، حتى قيل: إنه مات نصف الناس حتى الطيور والوحوش والكلاب»[٤].

١٥) الفناء العظيم سنة (٨٣٣هـ):

وقع هذا الطاعون في سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة، وهو أوسع هذه الطواعين كلها وأقطعها، ولم يقع بالقاهرة ومصر بعد الطاعون العام الذي كان في سنة تسع وأربعين نظير هذا، وأُطلِق على هذا الطاعون (الفناء العظيم)؛ لأنه عم وطم العالم كله، ومات فيه آلاف البشر حتى شمل موت الحيوانات[٥].

١٦) وباء سنة (٩٠٦هـ) في مدينة زَبِيد باليمن[٦]:

في سنة (٩٠٦هـ) حصل بمدينة زَبِيد مرض عظيم، ومات بسببه خلائق لا يحصون، وكثر الوباء، واستمر الدعاء لذلك في الصلاة والخُطَب، ودام ذلك إلى شهر ذي القعدة، واشتد في آخر شعبان ورمضان، فبلغ

(١) بذل الماعون في فضل الطاعون (ص:٣٦٨).

(٢) النجوم الزاهرة (١٠/ ١٩٥- ٢٣٣) بتلخيص.

(٣) ابن العماد الحنبلي: هو أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، مؤرخ، فقيه، عالم بالأدب، ولد في صالحية دمشق، وأقام في القاهرة مدة طويلة، ومات بمكة حاجًّا، له تصانيف منها:(شذرات الذهب في أخبار من ذهب)، و(شرح متن المنتهى) في فقه الحنابلة، وغيرهما، توفي سنة (١٠٨٩هـ). الأعلام (٣/ ٢٩٠)

(٤) شذرات الذهب (٨/ ٢٧١).

(٥) بذل الماعون في فضل الطاعون (ص:٣٦٩)، والنجوم الزاهرة (١٤/ ٣٣٨) بتصرف.

(٦) زَبِيد -بفتح أوله، وكسر ثانيه ثم ياء مثناة من تحت-: اسم واد به مدينة يقال لها:(الحصيب)، ثم غلب عليها اسم الوادي فلا تُعرَف إلا به، وهي مدينة مشهورة باليمن أُحدِثَت في أيام المأمون. معجم البلدان (٣/ ١٣١)

الموتى فيه بزبيد في كل يوم فوق ستين نفسا، وكان غالبه في النساء والأطفال[١].

١٧) الوباء العام سنة (١٢٤٦هـ):

في هذه السنة وقع الوباء العام الذي مات فيه خلائق لا يحصون عددا من الحجَّاج، حيث انتهى الأمر إلى العجز عن دفن الأموات، وخلت في تلك السنة بيوت كثيرة في جدة ومكة من أهاليها بحيث لم يبق فيها أحد، وتُرِكَت أموال عظيمة لا يُدرَى مَن يستحقها من الورثة، وكان ابتداء هذا الوباء من أرض الحبشة، فكان يموت كل يوم أكثر من ألف، وخلا كثير من القرى بحيث لم يبق فيها إلا المواشي والأموال، ولا يزال ينتقل هذا الوباء في النواحي والأقطار والقرى والأمصار حتى عم البلاد الشامية والمصرية والتركية والعربية[٢].

١٨) وباء الكوليرا في العصر الحديث:

وباء الكوليرا هو طاعون العصر الحديث، حيث حصد أرواح ملايين البشر في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين، وقد بدأ الوباء في ولاية البنغال[٣]، ثم انتشر في جميع أنحاء الهند بحلول عام ١٨٢٠م، وقُدِّرَت حالات الوفاة في الهند بين عام ١٨١٧م وعام١٨٦٠م بأكثر من ١٥ مليون شخص، ولقي ٢٣ مليون نسمة حتفهم بين عام ١٨٦٥م وعام ١٩١٧م، وفي عام ١٨٤٦م انتشر الكوليرا في مكة المكرمة مما أسفر عن مقتل أكثر من ١٥٠٠٠ شخص[٤].

هذه بعض الأوبئة التي مرت على بلاد المسلمين والتي دوَّنها المؤرخون في كتبهم ووصلت إلينا، وفي

---

(١) النور السافر عن أخبار القرن العاشر (ص: ٤٢).

(٢) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (ص: ١٦١٠-١٦١١).

(٣)البنغال: هي منطقة جغرافية ذات خصائص عرقية ولغوية مميزة، تقع في القسم الشرقي من شبه القارة الهندية عند قمة خليج البنغال، قُسِّمت هذه المنطقة عام (١٩٤٧م) إلى قسمين: شرقي ويعرف حاليا بنغلاديش، وغربي ضمن حدود الهند يطلق عليه غرب البنغال، يسكن هذه المنطقة شعوب البنغال ويتكلمون اللغة البنغالية. ينظر: موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية

(٤) ينظر: موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية لمعرفة المزيد عن وباء الكوليرا.

زماننا هذا أظهر الله تعالى لعباده آية دالة على جلاله وعظمته وقدرته، وعلى عجز العباد وضعفهم وقلة حيلتهم مهما ادعوا وتكبروا وبغوا وتجبروا، حيث انتشر في البشرية وباء يسمى:«فيروس كورونا (COVID-19)»، وقد بدأ هذا الوباء بالتفشي في مدينة ووهان الصينية كما في تقرير منظمة الصحة العالمية الوارد بشأن فاشية مرض «فيروس كورونا (COVID-19)»، والتي أُبلِغ عنها لأول مرة بمدينة ووهان الصينية يوم ٣١ ديسمبر ٢٠١٩م[١].

وقد تفشى هذا الوباء وانتشر وأصاب الملايين في العالم كله، ومات بسببه الآلاف من الناس، وحيَّر الأطباء وأعجز الأقوياء، وبسط نفوذه على سائر الأرجاء، فَشَلَّ أطراف الحياة، وعزل الناسَ في بيوتهم، وحال بينهم وبين مصالحهم حتى تضررت معايشهم، فلم تُغْنِ عنهم قوتهم المزعومة ولا حضارتهم الموهومة من أمر الله شيئا، نسأل الله أن يرفع الوباء والبلاء، وأن يحفظنا من كل مكروه وسوء.

(١) الموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية على شبكة الإنترنت www.who.int/features/qa/plague/ar.

المبحث الأول

عناية الإسلام بالصحة العامة ومشروعية الوقاية من الأوبئة والأمراض

إن الدين الإسلامي منهج حياة متكامل لأنه شرع رب العالمين ﷻ الذي يعلم من خلق، وشرع النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، ومن عظمة الشريعة الإسلامية أنها شريعة جاءت لتحقيق مصالح العباد ودفْع المفاسد عنهم، قال الإمام الشاطبي[1]:«وضْعُ الشرائعِ إنما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل معا»[2].

ومن مظاهر عظمة الإسلام ومفاخره اهتمامه بصحة الإنسان وجعْلها من أهم أولوياته، فأسس القرآن الكريم قواعد الطب الوقائي وجعلها جزءا من تعاليمه وعقيدته، وظهرت هذه القواعد واضحة في أحاديث النبي ﷺ وتوجيهاته، ولذا أمر الله عباده بالبعد عن موارد التهلكة حماية للنفس وحفظا لها فقال: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[3]، «فمن واجبنا كمسلمين أن لا نلقي بأنفسنا إلى التهلكة، وأن نأخذ بالأسباب، ونتقي بما يحفظنا أصلا من هذه الأمراض، ثم إذا وقع المرض بعد ذلك نصبر ونحتسب ونتوكل على الله، ونسلِّم بالمقدور، ونلتمس الدواء، فإن الله قد جعل لكل داء دواء»[4].

ومن أسباب الحفاظ على النفس البشرية وقايتها من الأوبئة والأمراض وأسباب العدوى للمحافظة على صحة الإنسان وسلامته مما يؤذيه، ولذلك نادى ديننا الإسلامي الحنيف بالمحافظة على الضروريات الخمس وصيانتها وهي:(الدين، والنفس، والعقل، والمال، والنسل) حتى يتمكن المسلم من أداء

---

(١) الشاطبي: هو الإمام العلامة المحقق أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بـ(الشاطبي)، كان أصوليا مفسرا فقيها محدثا لغويا من أهل غرناطة، وكان من أئمة المالكية، له استنباطات جليلة، ودقائق منيفة، وفوائد لطيفة، وأبحاث شريفة، وقواعد محررة محققة، من كتبه:(الموافقات في أصول الفقه، والاعتصام في أصول الفقه، وأصول النحو)، وغيرها، توفي سنة (٧٩٠هـ). نيل الابتهاج بتطريز الديباج (ص: ٤٨)، والأعلام (١/ ٧٥).

(٢) الموافقات (٢/ ٩).

(٣) سورة:(البقرة)، من الآية:(١٩٥).

(٤) مقدمة تحقيق بذل الماعون (ص:٢٧) بتلخيص.

تكاليف الدين بشكل أفضل دون أن يقطعه ألم أو يُثنِيه إعياء، ولذلك مدح القرآن الكريم أصحاب الصحة والقوة البدنية فقال:﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾[١]، وبين النبي ﷺ أهمية الصحة وأنها من أهم النعم التي أنعم الله بها على عباده فقال:«نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»[٢]، وقال ﷺ:«من أصبح منكم آمنًا في سربه، معافًى في جسده، عنده قوتُ يومِه، فكأنما حِيزَت له الدنيا»[٣].

ولكي يحمي الإسلام أتباعه ويقيهم من تفشي الأوبئة والأمراض وضع سبلا وضمانات كثيرة منها:

١) **الأمر بالتداوي عند حلول المرض:** من الإجراءات التي شرعها الإسلام وجاءت بها السنة المطهرة عند حلول المرض أن نتوجه نحو البحث عن الدواء والعلاج أخْذا بالأسباب التي شرعها الله ﷻ، قال النبي ﷺ:«ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء»[٤]، وعن أسامة بن شريك قال: قالت الأعراب: يا رسول الله، ألا نتدَاوَى؟ قال:«نعم، يا عباد الله تَدَاوَوْا، فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء، أو قال: دواء إلا داء واحدا»، قالوا: يا رسول الله، وما هو؟ قال:«الهَرَمُ»[٥].

ففي هذين الحديثين إثبات للمداواة وحث عليها أخْذا بالأسباب، وبيان أن الأدوية ليست سوى أسباب خلقها الله كوسائل للشفاء، قال القسطلاني[٦]:«ومن ثَمَّ عُلِم أن العلاج بالدواء، والاحتراز عن الوباء،

---

(١) سورة:(القصص)، من الآية:(٢٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ٨٨، ح: ٦٤١٢) عن ابن عباس، كتاب: الرقاق، باب: لا عيش إلا عيش الآخرة.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٤/ ٥٧٤، ح: ٢٣٤٦) عن سلمة بن عبيد الله بن محصن الخَطمي عن أبيه، أبواب: الزهد، باب: في التوكل على الله، قال الترمذي:«هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث مروان بن معاوية».

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ١٢٢، ح: ٥٦٧٨) عن أبي هريرة، كتاب: الطب، باب: ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه (٤/ ٣٨٣، ح: ٢٠٣٨)، أبواب: الطب، باب: ما جاء في الدواء والحث عليه، قال الترمذي:«وهذا حديث حسن صحيح».

(٦) القسطلاني: هو أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني، من علماء الحديث، مولده ووفاته في القاهرة، له مصنفات منها:(إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، والمواهب اللدنية في المنح المحمدية في السيرة النبوية، ولطائف الإشارات في علم القراءات)، والكنز في التجويد) وغير ذلك، توفي سنة (٩٢٣هـ). الأعلام (١/ ٢٣٢).

والتحرز عن الجلوس تحت الجدار المائل: واجب»[١].

وفي الحديثين أيضا بشارة من النبي ﷺ تنبئ عن الشفاء من جميع الأوبئة والأمراض مهما انتشرت وكثرت، ولكن ما علينا سوى الأخذ بأسباب التداوي، والبحث الجاد عن العلاج الناجع لهذه الأمراض مع الثقة فيما عند الله تعالى وعدم اليأس، وهذا يفتح أمام المرضى باب الأمل في كرم الله تعالى وعفوه وشفائه.

٢) **الحَجْر الصحي**[٢]: من أهم الوسائل للحد من انتشار الأمراض الوبائية في العصر الحاضر:(تطبيق الحجر الصحي والعزل تحرُّزًا من نقل البلاء والعدوى إلى الآخرين)، وبموجبه يُمنَع أي شخص من دخول المناطق التي انتشر فيها نوع من الوباء والاختلاط بأهلها، وكذلك يُمنَع أهل تلك المناطق من الخروج منها سواء أكان الشخص مصابا بهذا الوباء أم لا، قال النبي ﷺ:«لا ضرر ولا ضرار»[٣].

وهذه الوسيلة لمكافحة تفشي الأوبئة والبعد عن ملابسة الداء ومقارفته أشارت إليها السنة المطهرة منذ أربعة عشر قرنا من الزمان، ودعا إليها النبي الكريم ﷺ في إجابته على فَرْوة بن مُسَيْك[٤]) عندما سأله

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٧/ ٩٦).

(٢) الحجر الصحي: هو عزل أشخاص بعينهم أو أماكن أو حيوانات قد تحمل خطر العدوى، وتتوقف مدة الحجر الصحي على الوقت الضروري لتوفير الحماية في مواجهة خطر انتشار أمراض بعينها. الموسوعة العربية العالمية (٩/ ٨٨).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٢٦٧، ح: ٢٨٦٧) عن ابن عباس، قال المحقق/ أحمد شاكر: إسناده ضعيف لضعف جابر الجعفي.

(٤) فَرْوة بن مُسَيْك -بالتصغير، ويقال:«مُسَيْكَة»، والأول أشهر- بن الحارث بن سلمة بن الحارث الغطيفي المرادي، صحابي من الولاة، وأصله من اليمن، رحل إلى مكة وافدا على النبي ﷺ سنة تسع أو عشر وأسلم، استعمله النبي ﷺ على مراد ومذحج وزبيد، وكتب له كتابا فيه فرائض الصدقة، فعاد إلى بلاده وقاتل أهل الردة بعد وفاة النبي ﷺ، ثم سكن الكوفة وكان من وجوه قومه، وله أحاديث. الإصابة في تمييز الصحابة (٥ ٢٨١)، والأعلام (٥/ ١٤٣)

فقال: «يا رسول الله، أرض عندنا يقال لها أرضُ أَبْيَنَ[١]، هي أرض رِيفِنا ومِيرَتِنا[٢]، وإنها وبِئَة، أو قال: وباؤها شديد، فقال النبي ﷺ:«دعها عنك فإن من القَرَف التَّلَف»[٣]»[٤].

ولذلك قيَّد الإسلام حركة المريض مخافة انتشار المرض وانتقاله للأصحاء وقاية لأفراد المجتمع من العدوى، قال النبي ﷺ:«لا تُورِدُوا المُمْرِضَ على المُصِح»[٥]، بل وجه النبي ﷺ المسلمين إلى الوقاية من الأوبئة والأمراض وبخاصة المعْدِية منها، حيث نهى ﷺ عن الدخول إلى الأرض الموبوءة وعن الخروج منها فقال:«إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها»[٦].

وقد ذكر علماء المسلمين الأوائل بعض الفوائد الطبية في المنع من الدخول إلى الأرض الوبئة منها:

أحدها: تجنب الأسباب المؤذية والبعد منها.

الثاني: الأخذ بالعافية التي هي مادة المعاش والمعاد.

الثالث: أن لا يستنشقوا الهواء الذي قد عفن وفسد فيمرضون.

---

(١)أَبْيَنَ -يُفتَح أوله ويُكسَر- (بوزن أحمر)، ذكره سيبويه بكسر الهمزة، ولا يعرف أهل اليمن غير الفتح، وهو موضع في جبل عدن باليمن، يقال إنه سمي بـ(أَبْيَنَ بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ). معجم البلدان (١/ ٨٦)

(٢) مِيرَتِنا: المَوْر: الموج والاضطراب والجريان على وجه الأرض والتحرك، يقال:(مار الشيء مَوْرا) أي: تحرك وجاء وذهب. تاج العروس (١٤/ ١٥٢)، مادة:(مور)

(٣)قال الإمام الشوكاني:«القَرَف -بفتح القاف والراء بعدها فاء- هو ملابسة الداء ومقاربة الوباء ومداناة المرضى، وكل شيء قاربته فقد قارفته، والتَّلَف: الهلاك، يعني: مَن قارَب مُتْلَفًا يتلف إذا لم يكن هواء تلك الأرض موافقا له فيتركها، وليس هذا من باب العدوى بل هو من باب الطب، فإن استصلاح الهواء من أعون الأشياء على صحة الأبدان، وفساد الهواء من أسرع الأشياء إلى الأسقام». نيل الأوطار (٧/ ٢١٩)

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (٦/ ٦٧، ح: ٣٩٢٣)، كتاب: الطب، باب: في الطيرة، قال المحقق/ شعيب الأرنؤوط:«إسناده ضعيف لإبهام الرجل الذي سمع فروة بن مُسَيْك، وجهالة يحيى بن عبد الله بن بحير».

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ١٣٩، ح: ٥٧٧٤) عن أبي هريرة، كتاب: الطب، باب: لا عدوى.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ١٣٠، ح: ٥٧٢٨) عن أسامة بن زيد، كتاب الطب، باب: ما يذكر في الطاعون.

الرابع: أن لا يجاوروا المرضى الذين قد مرضوا بذلك، فيحصل لهم بمجاورتهم من جنس أمراضهم[١].

قال القرطبي عند تفسير قوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾[٢]: أصح هذه الأقوال وأبينها وأشهرها أنهم خرجوا فرارا من الوباء، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس ... وإذا كان الوباء بأرض فلا يُقدِم عليه أحد أخْذًا بالحزم والحذر، والتحرز من مواضع الضرر، ودفعا للأوهام المشوشة لنفس الإنسان وفي الدخول عليه الهلاك، وذلك لا يجوز في حكم الله تعالى فإن صيانة النفس عن المكروه واجبة[٣].

وقال الدكتور/ موسى شاهين لاشين:«الصحيح أن علة النهي عن القدوم عليه: التحرز من العدوى، فإن السليم إذا دخل أرض وباء مُعْدٍ لعرَّض نفسه للعدوى والإصابة، والنهي عن خروج من وقع الطاعون بأرض هو بها: عدم نقل العدوى من مكان الوباء إلى غيره ومنع انتشاره، وهذا هو المعروف في عرف الطب في أرقى العصور بـ(العزل الصحي، أو الحجر الصحي)، أي: محاصرة المرض المعْدِي في أضيق حدوده، وهذا لا يتعارض مع الإيمان بالقضاء والقدر ولا مع أن العدوى لا تؤثر بنفسها بل بإرادة الله تعالى»[٤].

٣) **التباعد الجسدي (الاجتماعي)**: لقد أشارت منظمة الصحة العالمية إلى أهمية اتباع الأفراد في أي تجمع إجراءات التباعد الجسدي، والحفاظ على مسافر متر واحد على الأقل وفي جميع الأوقات، والالتزام بالتسليم عن بُعْد دون ملامسة الأيدي أو التقبيل؛ وذلك للحد من مخاطر الإصابة بالعدوى عندما يسْعَلُون أو يَعْطَسُون أو يتكلمون[٥].

وإذا تأملنا تعاليم السنة النبوية سنجد سبْق الإسلام إلى نظم الوقاية من الأمراض المعدية والاحتراز من

---

(١)الطب النبوي (ص: ٦٢).

(٢) سورة:(البقرة)، من الآية:(٢٤٣).

(٣)الجامع لأحكام القرآن (٣/ ٢٣٢-٢٣٤) بتلخيص.

(٤) فتح المنعم شرح صحيح مسلم (٨/ ٦٠٠).

(٥) الموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية على شبكة الإنترنت rwww.who.int/features/qa/plague/a

تفشيها، وأن فكرة التباعد الجسدي عن ذوي الأمراض المعدية والذي أشارت إليها منظمة الصحة العالمية موجود أصلها في السنة المطهرة، وذلك في قول النبي ﷺ:«وفِرَّ من المجذوم كما تَفِرُّ من الأسد»(١)، وقال النبي ﷺ:«لا تُدِيمُوا النظرَ إلى المُجَذَّمِين، وإذا كلَّمتُمُوهم فليكن بينكم وبينهم قِيدُ رُمْح»(٢).

فإذا كان النبي ﷺ قد نهى في الحديثين السابقين عن مخالطة مريض الجذام آنذاك سدا للذريعة وحماية للصحة ؛ إذ هو من العلل المعدية بحسب العادة الجارية عند بعض الناس(٣)، فيدخل فيه من كان في معناه من الأوبئة والأمراض المعدية.

٤) **عدم المصافحة منعا لنقل العدوى**: من الإجراءات الاحترازية التابعة للتباعد الجسدي الذي أشارت إليه منظمة الصحة العالمية:(الالتزام بالتسليم عن بُعْد دون ملامسة الأيدي أو التقبيل)، وقد اتخذ النبي ﷺ مثل هذا الإجراء مع رجل مجذوم، وذلك فيما أخرجه مسلم عن عمرو بن الشريد(٤) عن أبيه قال: «كان في وفد ثقيف رجل مجذوم(٥)، فأرسل إليه النبي ﷺ:«إنا قد بايعناك فارجع»»(٦).

وقد أشار القسطلاني إلى المعنى السابق فقال:«انتقال الداء من جسد إلى جسد بواسطة الملامسة

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ١٢٦، ح: ٥٧٠٧) عن أبي هريرة، كتاب: الطب، باب: الجذام.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٤١٤، ح: ٥٨١) من طريق الفرج بن فَضَالة عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان عن أمه فاطمة بنت حسين عن حسين عن أبيه، وإسناده ضعيف لأجل (الفرج بن فَضَالة)، قال الذهبي:«ضعفه الدارقطني وغيره، وقواه أحمد»، وقال ابن حجر :«ضعيف». ينظر: الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة (٢/ ١٢٠)، وتقريب التهذيب (ص: ٤٤٤)

(٣) المهيأ في كشف أسرار الموطأ (٢/ ٤٣٧).

(٤) عمرو بن الشريد: هو عمرو بن الشريد بن سويد الثقفي، تابعي ثقة، ذكره ابن حبان في الثقات (٥/ ١٨٠)، وأبوه صحابي، روى عن أبيه وابن عباس وآخرين، وروى له البخاري ومسلم. تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٢٨)، وتهذيب التهذيب (٨/ ٤٧)

(٥) الرجل المجذوم الذي ورد في الحديث هو (ربيعة الأجذم الثقفي). أسد الغابة (٢/ ٢٥٧) قال ابن الأثير:«يقال: رجل أجذم ومجذوم، إذا تهافتت أطرافه من الجذام، وهو الداء المعروف». النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٢٥١)

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ١٧٥٢، ح: ٢٢٣١)، كتاب السلام، باب: اجتناب المجذوم ونحوه.

والمخالطة وشم الرائحة ليس على طريق العدوى بل بتأثير الرائحة؛ لأنها تُسْقِم من واظب اشتمامها»[١].

قال الدكتور/ موسى شاهين لاشين في شرحه للحديث السابق:«من الثابت الذي لا يقبل الشك أن بعض الأمراض تنتقل من جسم المريض إلى جسم السليم بسبب المخالطة بينهما عن طريق جراثيم "ميكروبات" وهي كائنات حية صغيرة لا ترى بالعين المجردة، ولكل مرض "ميكروب" خاص به، وطريقة ينتقل بها من المريض إلى السليم، بعضها ينتقل عن طريق الهواء بدون ملامسة، كما ينتقل تلقيح الأنثى من طلع النخل بطلع الذكر القريب، وقد يكثر المرض والميكروب فيفسد الهواء في منطقة واسعة فيصيب العامة مما يعرف بـ(الوباء)، وبعضها ينتقل بملامسة السليم للمريض، وبعضها ينتقل باستعمال أدوات المريض، وبعضها ينتقل عن طريق اتصال دم المريض بدم السليم، أو اتصال مخاطه، أو اتصال ماء شهوته»[٢].

فإذا كان النبي ﷺ قد نهى عن مصافحة المصاب بمرض مُعْد منعا لنقل العدوى فإن النهي يتأكد في حالات الوباء التي انتشر فيها المرض وتفشى، ولا يتعارض ذلك مع الأدلة الواردة في الحث على المصافحة باليد؛ لأن ذلك إنما يكون في الحالات الطبيعية التي يأمن الإنسان فيها على نفسه من الإصابة بالأمراض المعدية، أما عند وجود المرض وانتشاره فينبغي تجنب المصافحة، ويكفي التحية بإلقاء السلام بالقول المأمور به كما في قوله تعالى:﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ﴾[٣].

٥) **منْع تطاير الرَّذاذ أثناء العطس:** لقد أوصت منظمة الصحة العالمية أثناء انتشار «فيروس كورونا» بوضع الكمامات الواقية على الأنف منعا من تطاير الرذاذ أثناء العطس فيؤذي من كان حاضرا، وهذا

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٨/ ٣٧٤) بتصرف.

(٢) فتح المنعم شرح صحيح مسلم (٨/ ٦١٥).

(٣) سورة:(النور)، من الآية:(٦١).

الإجراء الاحترازي قد سبقت إليه السنة المطهرة حينما وضعت مجموعة من الآداب تسمى بـ(آداب العاطس)، وقد بينها النبي ﷺ لنا بصورة تطبيقية عملية، يقول سيدنا أبو هريرة:«كان النبي ﷺ إذا عطس غطى وجهه بيده أو بثوبه، وغض بها صوته»(١).

قال ابن مُفْلِح(٢):«ويسن أن يغطي العاطس وجهه ويخفض صوته إلا بقدر ما يسمع جليسه ليُشَمِّتَه»(٣).

فالنبي الكريم ﷺ يعلم أمته هذا الأدب الرفيع عمليا ويدعوهم إذا عطس أحدهم أن يغطي وجهه حتى لا يؤذي الآخرين، وهذا الفعل منهﷺ ليس مقيدا بوقت محدد أو مختصا بزمن تفشي وباء ومرض معين، وإنما هو على سبيل الدوام والاستمرار كمالا في الأدب ومبالغة في الحيطة والحذر.

وقد أثبت الطب في العصر الحديث فائدة هذا الهدي النبوي ودوره في الحد من انتشار الأمراض الفيروسية الوبائية، فقد أثبت علماء الطب أن الفيروسات(٤) المسببة لنزلات البرد تتكاثر في خلايا الجهاز التنفسي للإنسان، وتنتقل هذه الفيروسات من كائن لآخر عن طريق الهواء أو أي وسيلة أخرى، ومن ثَم تنتقل بواسطة سوائل الجسم إلى الخلايا(٥).

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٥/ ٨٦، ح: ٢٧٤٥)، أبواب: الأدب، باب: ما جاء في خفض الصوت وتخمير الوجه عند العطاس، قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

(٢) ابن مُفْلِح: هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مُفْلِح بن محمد بن مفرج المقدسي الصالحي الراميني الحنبلي، أعلم أهل عصره بمذهب الإمام أحمد بن حنبل، ولد ونشأ في بيت المقدس، وتوفي بصالحية دمشق سنة (٧٦٣هـ)، من تصانيفه:(كتاب الفروع في الفقه، وأصول الفقه، والآداب الشرعية الكبرى)، وغير ذلك. شذرات الذهب (٨/ ٣٤٠)، والأعلام (٧/ ١٠٧)

(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ٣٣٤).

(٤)الفيروس: كائن مجهري يعيش داخل خلية كائن حي آخر، ورغم صغر حجمه إلا أنه سبب رئيسي من أسباب المرض، وتُعدِي بعض الفيروسات الإنسان بأمراض مثل: الحصبة والإنفلونزا ونزلات البرد الشائعة، وعندما تدخل خلايا الكائن الحي تقوم بتدمير بعضها ومن ثَم تحدث الإصابة بالأمراض، وتبلغ الفيروسات درجة من البدائية في تكوينها إلى حد أن كثيرا من العلماء يعدونها كائنات غير حية، بمعنى: أن الفيروس غير قادر على التكاثر بمفرده، لكنه عند دخوله خلايا كائن آخر يصبح نشطا قادرا على أن يتضاعف مئات المرات. الموسوعة العربية العالمية (ص:٦٦٧) بتصرف

(٥) المصدر السابق (ص:٦٦٨) بتصرف وتلخيص.

٦) **النظافة**: إن ديننا الإسلامي الحنيف دين يحث أتباعه على النظافة بجميع صورها بل جعلها جزءا من حياة المسلم اليومية، فقد أثنى المولى ﷻ على عباده المؤمنين الحريصين على النظافة والطهارة وأثبت لهم محبته فقال:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[١]، وقال تعالى مخاطبا نبيه ﷺ:﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[٢]، وبين النبي ﷺ أهمية الطهارة والنظافة فقال:«الطُّهور شطر الإيمان»[٣][٤].

فالحديث الشريف يُعَدُّ من الإعجاز العلمي من جانب النبي ﷺ في الصحة الوقائية في العصر الحديث، ولذلك أفاض العلماء في بيان أوجه الإعجاز النبوي العلمي في هذا الصدد، يقول الدكتور/ زغلول النجار: ولفظة «الطُّهور» هنا تشمل طهارة كل من البدن والملبس والنعل والمسكن والفناء والطرقات والمجاري المائية الخاصة والعامة، وكل ما يستخدمه الإنسان من أدوات، كما يشمل طهارة كل من القلب والنفس، وقد عظمت السنة النوية الشريفة الطهارة بأبعادها المختلفة تعظيما كبيرا قبل أن يكتشف الإنسان جراثيم الأمراض، وقبل أن يدرك أن تدني مستوى النظافة هو من الأسباب الرئيسية للعديد من الأمراض، وقد جاء هذا الحديث من النبي ﷺ سبقا علميا وطبيا مبهرا وضع الضوابط الكاملة لعدد من العلوم المستحدَثَة والتي تُعرَف باسم «الصحة العامة» في زمن لم يكن لأحد من الخلق إدراك لقيمة

---

(١) سورة:(البقرة)، من الآية:(٢٢٢).

(٢) سورة:(المدثر)، الآية:(٤).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٢٠٣، ح: ٢٢٣) عن أبي مالك الأشعري، كتاب: الطهارة، باب: فضل الوضوء.

(٤)اختلف العلماء في معنى قوله ﷺ:«الطُّهور شطر الإيمان» فقيل: معناه أن الأجر فيه ينتهي تضعيفه إلى نصف أجر الإيمان، وقيل: معناه أن الإيمان يجُبُّ ما قبله من الخطايا وكذلك الوضوء لأن الوضوء لا يصح إلا مع الإيمان، فصار لتوقفه على الإيمان في معنى الشطر، وقيل: المراد بالإيمان هنا الصلاة كما قال الله تعالى:﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾، والطهارة شرط في صحة الصلاة فصارت كالشطر، وليس يلزم في الشطر أن يكون نصفا حقيقيا، وهذا القول أقرب الأقوال، ويحتمل أن يكون معناه: أن الإيمان تصديق بالقلب وانقياد بالظاهر وهما شطران للإيمان، والطهارة متضمنة الصلاة فهي انقياد في الظاهر. شرح النووي على مسلم (٣/ ١٠٠)

النظافة والطهارة العامة في الوقاية الصحية[١].

ولذلك وفر الإسلام أسباب الوقاية من الأمراض في معظم التكاليف الشرعية والواجبات العملية التي يلتزم المسلم بها من وضوء وصلاة وصيام وحج وترك للمحرمات، فأوجب الغسل من الجنابة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُ﴾[٢].

وشرع الإسلام تنظيف أماكن خاصة من الجسم لأنها مظنة نمو الميكروبات وتكاثرها، قال النبي ﷺ: «الفطرة خمس: الخِتَان، والاستِحْدَاد، وقص الشارب، وتقليم الأظفار، ونتف الآبَاط»[٣]، وفرض الصلاة وجعل من شروطها الوضوء، قال النبي ﷺ: «لا تُقبَل صلاةُ مَن أحدثَ حتى يتوضأ»[٤]، واشترط أيضا لصحتها طهارة الثوب والبدن والمكان، وجعل أداءها يشتمل على القيام والركوع والسجود، وهو ما يشبه الرياضة البدنية، ويزيد في صحة الجسم وقوته، نجد هذا الجانب يظهر أيضا في فريضة الصيام، فالمسلم يؤديها تقربا إلى الله تعالى، وفيها الكثير من أسباب صحة البدن ووقايته من الأمراض، قال تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[٥].

كذلك اهتم الإسلام بالنظافة الشخصية للإنسان في ثوبه وبدنه ونعله وشأنه كله، وأولها في هذا المقام الذي نحن فيه (غسل اليدين)، حيث جاءت السنة المطهرة لتنبِّهَ الإنسان وتعوِّدَه على هذا السلوك أكثر

---

(١) الإعجاز العلمي في السنة النبوية (ص:٤٤٢-٤٤٧) بتلخيص.

(٢) سورة:(المائدة)، من الآية:(٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ١٦٠، ح: ٥٨٩١) عن أبي هريرة، كتاب: اللباس، باب: تقليم الأظفار.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٣٩، ح:١٣٥) عن أبي هريرة، كتاب: الوضوء، باب: لا تقبل صلاة بغير طهور.

(٥) سورة:(البقرة)، من الآية:(١٨٤).

من مرة وفي عدة مواضع كل يوم، ومن ذلك: غسل اليدين في الوضوء، وهذا واضح في شعيرة الصلاة التي يمارسها المسلم خمس مرات يوميا، ومنها: غسل اليدين فور الاستيقاظ من النوم، وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك بقوله:«إذا استيقظ أحدُكُم من نومه فلا يغمس يدَه في الإناء حتى يغسِلَهَا ثلاثا، فإنه لا يدري أين باتَت يدُه»(١).

كذلك نهت شريعة الإسلام عن أسباب المرض وما يؤدي إليها، فحرمت الخمر حفاظا على صحة الإنسان، قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾(٢)، وأمرت بالبعد عن الفواحش وأكدت أنها مصدر لكل مرض وبلاء، قال تعالى:﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ﴾(٣)، وأمرت أيضا بإزالة مسببات الأمراض، وبينت أن منع انتشار هذه الأسباب له أجر عظيم، قال النبي ﷺ:«عُرِضَتْ عليَّ أعمالُ أمتي حسنُهَا وسيِّئُهَا، فوجدتُ في محاسن أعمالها الأذى يُمَاطُ عن الطريق، ووجدتُ في مساوي أعمالها النخاعة تكون في المسجد لا تُدفَن»(٤).

من خلال ما سبق يمكن التأكيد على أن الإسلام دين الإحساس المرهف المحافظ على مشاعر الآخرين(٥)، وأنه يتعاضد مع الطب في معالجة الأوبئة والأمراض، حيث حرص على أسباب الوقاية ولم

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٢٣٣، ح: ٢٧٨) عن أبي هريرة، كتاب: الطهارة، باب: كراهة غمس المتوضئ وغيره يده المشكوك في نجاستها في الإناء قبل غسلها ثلاثا.

(١) سورة:(المائدة)، الآية:(٩٠).

(٣) سورة:(الإسراء)، الآية:(٣٢).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٣٩٠، ح: ٥٥٣) عن أبي ذر، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها.

(٥) فتح المنعم شرح صحيح مسلم (١٠/ ٦٠٧)، وينظر أيضا:«كيفية مواجهة الأوبئة في ضوء تعاليم السنة المشرفة» (ص:٦٤)

-٨٩) بتصرف وتلخيص وزيادة.

يترك صغيرة ولا كبيرة في هذا الباب إلا أكد عليها وأمر بها، وأن شريعة الإسلام قد وضعت أسس الطب الوقائي حرصا على صحة الإنسان ووقايته مما يؤثر عليه حتى ينعم المسلم بالصحة والعافية، ويتمكن من تحقيق الأمانة التي كُلِّف بها وخُلِق من أجلها، وعلى هذا فقيام المسلم بالتعاليم الصحية الوقائية يعد عبادة لله وطاعة لرسوله، والتزاما لما ورد في القرآن الكريم من أوامر ونواهي، قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾.

المبحث الثاني

سمات المنهج القرآني الوقائي وخصائصه

إن القرآن الكريم هو كتاب الله الحكيم الذي دعانا لما فيه صلاح الدنيا وفلاح الآخرة، قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴾[1]، قال مجاهد والجمهور:«المعنى: استجيبوا للطاعة وما تضمنه القرآن من أوامر ونواهي، ففيه الحياة الأبدية والنعمة السرمدية»[2]، وقال قتادة:«﴿لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾ هو هذا القرآن، فيه النجاة والتقاة والحياة»[3].

لذا أنزل ربنا ﷻ القرآن الكريم منهجا للعباد يحكمون به حياتهم ويضبطون به تصرفاتهم، وضمنه منهجا تربويا وقائيا واضح المعالم يقود من اتبعه إلى سعادة الدارين، قال تعالى:﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦ ﴾[4].

هذا وقد تبوأ المنهج الوقائي حيزا كبيرا جدا من آيات القرآن الكريم؛ ذلك لأن كل خطابات القرآن بكافة أساليبه وأمثاله وقصصه ومواعظه وترغيبه وترهيبه وتحذيره ونظمه وإعجازه وألفاظه وتراكيبه جاءت لترسِي ذلك المفهوم بوجه عام، فبه يتحقق تطبيق شرع الله تعالى وإقامته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

والمتأمل في القرآن الكريم يجد أن المنهج الوقائي يتمتع بسمات وخصائص متعددة تميز بها وجعلته ينفرد عن أي منهج آخر في أي زمان ومكان، كل خصيصة منها تبرز جانبا مضيئا من جوانب محاسنه وغايات مقاصده، وفي هذا دليل على غاية تمامه ومنتهى كماله، وشموله لعموم الخلق ونفعه لهم في الدارين، وهذا في حد ذاته علامة على أنه من لدن حكيم خبير خلق فسوى، وقدر فهدى، وشرع فحوى، من أهم هذه السمات والخصائص:

---

(١) سورة:(الأنفال)، من الآية:(٢٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٣٨٩).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٣٥).

(٤) سورة:(المائدة)، الآيتان:(١٥-١٦).

١) **الربانية**: من أهم خصائص المنهج القرآني الوقائي أنه منهج رباني منزل من لدن حكيم خبير، فليس هناك مَن هو أعلم من الله بمفاتيح فطرة الإنسان وعلاجه ودوائه؛ لأن كل صانع أدرى بصنعته، قال تعالى:﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[١]، قال الإمام القرطبي عند تفسيره لهذه الآية:«اختلف العلماء في كونه شفاء على قولين: أحدهما: أنه شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها وإزالة الريب، ولكشف غطاء القلب من مرض الجهل. الثاني: شفاء من الأمراض الظاهرة بالرُّقَى والتعوذ ونحوه»[٢].

فهو سبحانه العليم بأسرار خلقه وخفايا صنعه، قال تعالى:﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[٣] أي: ألا يعلم الله تعالى شأن الذين خلقهم، والحال أنه سبحانه هو الذي لطف علمه ودق، إذ هو المدبر لأمور خلقه برفق وحكمة، العليم علما تاما بأسرار النفوس وخبايا ما توسوس به[٤].

وتتجلى خصيصة الربانية في المنهج القرآني الوقائي حين يُلَاحَظ أن كافة تعاليمه قد استغرقت كل شؤون الحياة ومراحل الإنسان فيها، فكانت تلك التشريعات والتعاليم دقيقة تماما، وبالتالي لا يمكن بحال أن يوجد فيها شيء من قصور أبدا.

يقول الدكتور/ عبد الكريم زيدان:«ولما كان الله تعالى له الكمال المطلق في ذاته وصفاته وأفعاله، ويستحيل في حقه خلاف ذلك، فإن أثر هذ الكمال يظهر فيما يشرعه من أحكام ومناهج وقواعد، وبالتالي لابد أن يكون كاملا، وهذا بخلاف ما يصنعه الإنسان ويشرعه فإنه لا ينفك عن معنى النقص والهوى والجهل والجَوْر؛ لأن هذه المعاني لاصقة بالبشر ويستحيل تجردهم عنها كل التجرد، وبالتالي تظهر

(١) سورة:(الإسراء)، من الآية:(٨٢).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٣١٦) بتلخيص.

(٣) سورة:(الملك)، الآية:(١٤).

(٤) التفسير الوسيط، د/ محمد سيد طنطاوي (١٥/ ١٨).

هذه النقائص في القوانين والشرائع التي يصنعونها»[1].

وإذا كانت ربانية المنهج تعني أنه منهج سماوي وضعه خالق الإنسان، إذن هو منهج لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا يعني تعطيلا لجهود البشر عن الاجتهاد والتفكير في هذا الكون والمعرفة بأسراره، فالقرآن يأمر ويحض على التدبر والتفكر والتعقل في كثير من آياته، ويضع أمام البشرية حقائق وأصول العبادات وأنماط المعاملات والصفات التي ينبغي أن يكون عليها الإنسان، أما ما يتعلق بوسائل النهوض بالمجتمع وطرق المعيشة واكتشاف الدواء الناجع للوقاية من الأوبئة والأمراض، فهذا كله متروك لاجتهاد البشر ما دام لا يخرج عن المبادئ والأصول التي وضعها القرآن الكريم.

وإذا كانت أصول الطب التي وصل الإنسان إليها بتجاربه تدور حول حفظ القوة وعدم مضاعفة المرض، فإننا نجد في القرآن الكريم وفي إرشادات النبي ﷺ إشارات واضحة إلى كثير من الجزئيات والأمثلة التي تمثل هذه الأصول الطبية.

وأول ما نجد من ذلك أن الإسلام أباح للمسافر أن يفطر في رمضان حتى لا تجتمع مشقة السفر مع مجهود الصوم فتَضعُف القوة وتُفقَد المناعة، وكذلك أباح للمريض أن يفطر حتى لا يزداد مرضه بالصوم وعدم الغذاء، وأباح لمن خاف المرض وتأخر البُرء باستعمال الماء في الوضوء أو الغسل أن يتيمم، ومن هذا القبيل أيضا تحريم الخمر والخنزير، والإسراف في الأكل والشرب، وما إلى ذلك من كل ما يضر ويؤذي، كذلك ضمَّن الإسلام العبادات التي أمر بها تقربا إلى الله تعالى كثيرا من أنواع الوقاية التي تحفظ الإنسان إذا داوم عليها وأداها حقها من التعرض للإصابات الجوية بسبب الأتربة والحرارة، ويتجلى ذلك واضحا في الأمر بالوضوء للصلوات الخمس، والشواهد على ما سبق واضحة في كتاب الله وسنة رسولهﷺ .

٢) **العالَمية**: من أهم خصائص المنهج القرآني الوقائي أنه منهج عالَمي؛ ذلك لأنه نابع من الإسلام، وهو دين عالمي جاء للناس كافة ولم يأت لجنس خاص أو بيئة معينة من الناس، ولم يتقيد بزمان أو

(١) أصول الدعوة (ص: ٤٧).

مكان معين، وهذه العالمية للتشريع قد بينها الله ﷻ في أكثر من آية، قال تعالى:﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[١]، وقال تعالى:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[٢]، وقال تعالى:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[٣]، وأكد النبي ﷺ ذلك بقوله:«أُعطِيتُ خمسا لم يُعطَهُن أحد من الأنبياء قبلي : نُصِرْتُ بالرعب مسيرة شهر، وجُعِلَت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأُحِلَّت لي الغنائم، وكان النبي يُبعَث إلى قومه خاصة وبُعِثْتُ إلى الناس كافة، وأُعطِيتُ الشفاعة»[٤].

وتتجلى هذه الخصيصة حينما نقف على حرص الشريعة على مصالح العباد في العاجل والآجل معا، وحين يُلاحَظ فيها غاية المقاصد السامية الرفيعة بما يحقق النفع ويدفع الضرر، وهذا ما تؤكده رسالة النبي ﷺ في عمومها، فقد بعثه الله رحمة للعالمين، ومن شأن الرحمة رعاية مصالح العباد ودرء المفاسد عنهم، وتؤكده أيضا نظم الشريعة التي بُعِثَ بها، ويتجلى ذلك واضحا حين يقرن القرآن بين الأحكام والمصالح المترتبة عليها، قال تعالى:﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[٥]، وقال تعالى:﴿ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[٦]، وقال تعالى:﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾[٧]، إلى غير ذلك من الآيات التي فيها رعاية المصلحة ودرء المفسدة.

---

(١) سورة:(الأعراف)، من الآية:(١٥٨).

(٢) سورة:(الأنبياء)، الآية:(١٠٧).

(٣) سورة:(سبأ)، من الآية:(٢٨).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٩٥، ح: ٤٣٨) عن جابر بن عبد الله، كتاب: الصلاة، باب قول النبي ﷺ:«جُعِلَت لي الأرض مسجدا وطهورا».

(٥) سورة:(البقرة)، الآية:(١٧٩).

(٦) السورة السابقة، من الآية:(١٨٤).

(٧) السورة السابقة، من الآية:(٢٢٢).

وإذا كانت عالمية المنهج تعني أنه منهج جاء للناس كافة، إذن فهو منهج مبرؤ من الهوى والميل والضعف والقصور والغلو والتفريط، بالإضافة إلى أن هذه العالمية جعلته يتميز بالعطاء والتجدد حتى يفي بحاجات الزمن المتطور إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، يقول المستشرق فامبيري:«إن فقه الإسلام واسع جدا لدرجة أني عجبت كل العجب كلما فكرت في أن المسلمين لم يستنبطوا منه الأنظمة والأحكام الموافقة لزمانهم وبلادهم»[1]، فكيف لا نفخر بمنهج هذه خصائصه ومميزاته!

٣) **التيسير ورفع الحرج:** من أميز خصائص المنهج القرآني الوقائي أنه منهج يمتاز باليسر والتسامح ورفع الحرج عن المكلفين، وسهولة التعامل معه، وعدم الإرهاق والمشقة في الالتزام به، فليس القصد من تشريعه إيقاع الحرج بالناس والتشديد عليهم وإرهاقهم بالتكاليف، وإنما يهدف إلى تحقيق مصالح معاشهم وآخرتهم بما يتفق مع طاقتهم وحدود فطرتهم، ومن النصوص التي تؤكد هذا المعنى قوله تعالى:﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا ﴾[2]، وقوله تعالى:﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴾[3]، وقوله تعالى:﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ ﴾[4].

فقد دلت هذه الآيات على أن الله ﷻ قد راعى في تشريعه للأحكام وُسْعَ عباده وطاقاتهم، وأنه قد وضع عنهم الحرج والضيق تيسيرا عليهم وتخفيفا، وأن التيسير ورفع الحرج يعد خاصية بارزة من خصائص الشريعة الإسلامية الغراء التي وصفها الله تعالى بالوسطية والاعتدال.

قال ابن كثير في تفسيره:«﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ ﴾ أي: ما كلفكم ما لا تطيقون، وما ألزمكم بشيء فشق عليكم إلا جعل الله لكم فرجا ومخرجا، فالصلاة -التي هي أكبر أركان الإسلام بعد الشهادتين- تجب في الحضر أربعا، وفي السفر تُقصَر إلى ثنتين، وفي الخوف يصليها بعض الأئمة ركعة

(١) منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع (ص: ٣٨).

(٢) سورة:(البقرة)، من الآية:(٢٨٦).

(٣) سورة:(النساء)، الآية:(٢٨).

(٤) سورة:(الحج)، من الآية:(٧٨).

كما ورد به الحديث[١]، وتُصَلَّى رجالا وركبانا، مستقبلي القبلة وغير مستقبليها، وكذا في النافلة في السفر إلى القبلة وغيرها، والقيام فيها يسقط بعذر المرض، فيصليها المريض جالسا، فإن لم يستطع فعلى جنبه، إلى غير ذلك من الرخص والتخفيفات في سائر الفرائض والواجبات»[٢].

وتتجلى هذه الخصيصة في المنهج القرآني الوقائي حينما نرى أن كل تشريعاته قد اتسمت بغاية اليسر والسهولة والرحمة والرأفة بالعباد، فالشرع الرحيم مثلا حينما شرع الصلاة المفروضة والتي تعد أكبر مجال وقائي للمسلم بدنيا ومعنويا لم يجعلها حالة واحدة تقع عليه، بل أحاطها بجملة من الأحكام التي تجعل العبد يؤديها بحسب استطاعته، حيث رخص للمريض أن يصلي حسب مقدوره قائما أو جالسا أو نائما، كذلك شرع الصيام ورخص في الفطر للمريض والمسافر والحامل والمرضع، وكذلك سائر الأعمال من عبادات ومعاملات، وكل ذلك من باب الرحمة بالعباد والشفقة بهم، ورفع المشقة ودفع الحرج عنهم.

نخلص من خلال ما سبق إلى أن المنهج القرآني الوقائي يمتاز بيسره وبساطته، وسهولة تنفيذه وسماحته، وأنه بذلك قد جمع الخلق على خير مبادئ وقيم حققت لهم الحياة الآمنة المطمئنة في ظل أمور تعبدية سهلة وأحكام نافعة ميسرة، قال تعالى:﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾[٣].

٤) **رعاية مصالح البشر**: من أهم خصائص المنهج القرآني الوقائي أنه منهج قائم على الحكمة الإلهية في تشريعاته، حيث حوتْ كل تعاليمه وتشريعاته عموم المصالح والمنافع، ودرأتْ عموم المفاسد والمضار، وراعت أحوال العباد ومتطلباتهم، فلم يكلفهم بما هو فوق طاقتهم، ولم يشق عليهم بما ليس في وُسْعِهم، قال تعالى:﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ أي: لا يكلفها إلا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر

(١) من الأدلة على ذلك قول ابن عباس:«فرض الله الصلاة على لسان نبيكم ﷺ في الحضر أربعا، وفي السفر ركعتين، وفي الخوف ركعة». أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٤٧٩، ح: ٦٨٧)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: صلاة المسافرين وقصرها

(٢) تفسير القرآن العظيم (٥/ ٤٥٥).

(٣) سورة:(البقرة)، من الآية:(١٨٥).

عليه دون مدى الطاقة والمجهود، وهذا إخبار عن عدله ورحمته كقوله تعالى:﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾؛ لأنه كان في إمكان الإنسان وطاقته أن يصلي أكثر من الخمس، ويصوم أكثر من الشهر، ويحج أكثر من حجة[١].

وتتجلى هذه الخصيصة في المنهج القرآني الوقائي حينما نقف على الحكمة التشريعية لكافة معاملاته وأموره التعبدية، وحين يلاحَظ فيها غاية المقاصد السامية الرفيعة بما يحقق النفع ويدفع الضرر، قال الشاطبي: «وضْع الشرائع إنما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل معا»[٢].

فالمقصد الأول من مقاصد الشريعة الإسلامية أن كل تعاليمها جاءت جامعة لكل خير آمِرَة به، محققة بذلك عموم المنافع والمصالح الدينية والدنيوية على السواء، قال تعالى في محكم تنزيله:﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[٣]، قال الخطيب الشربيني[٤] في تفسيره:«﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ﴾أي: الجامع لكل حق والفارق بين كل ملتبس ﴿يَهْدِى لِلَّتِى ﴾أي: إلى الطريق التي ﴿هِىَ أَقْوَمُ﴾ أي: أصوب من كل طريق»[٥].

في حين قال الإمام الشعراوي:«أما منهج السماء فإنه يضع الوقاية، ويمنع المرض من أساسه، فهناك فرق بين الوقاية من المرض وبين العلاج للمرض، فأصحاب القوانين الوضعية يُعَدِّلون نظمهم لعلاج الأمراض التي يَشْقَون بها، أما الإسلام فيضع لنا الوقاية، فإن حدَثتْ غفلة من المسلمين وأصابتهم بعض

(١) تفسير الكشاف (١/ ٣٣٢).

(٢) الموافقات (٢/ ٩).

(٣) سورة:(الإسراء)، من الآية:(٩).

(٤)الخطيب الشربيني: هو شمس الدين محمد بن أحمد الشربيني، فقيه شافعي مفسر، من أهل القاهرة، له تصانيف منها:(السراج المنير في تفسير القرآن، والإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، وشرح شواهد القطر) وغيرها، توفي سنة (٩٧٧هـ). الأعلام (٦/ ٦)

(٥) السراج المنير (٢/ ٢٨٥).

الداءات نتيجة انصرافهم عن منهج ربهم نقول لهم: عودوا إلى المنهج:﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾»[١].

وتتجلى رعاية المنهج القرآني الوقائي لمصالح البشر حينما نقف على مشروعيته لفريضة الصوم، والتي تعد أكبر مدرسة وقائية للمسلم بدنيا ومعنويا، وأنه قد راعى حقيقة تكوين الإنسان المكونة من جسد وروح، فاهتم بمصلحة البدن بما يحققه الصوم من صحة جسدية له، واهتم أيضا بالروح بما يحققه الصوم من سمو أخلاقي لها، قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[٢]، وقال تعالى:﴿ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[٣].

من خلال ما سبق يتبين أن المنهج القرآني الوقائي منهج وسطي ينظم شؤون الحياة، ويُوجِد توافقا تاما وسليما بين المطالب المادية والروحية، وأنه قد راعى مصالح البشر في يسر وسهولة بما يحقق النفع لهم ويدفع الضرر عنهم، وأنه لا يمكن أن يضيق بحاجات الناس الضرورية أو أن يقف في سبيل سعادتهم واستمتاعهم بالطيبات، وهذا بدوره يحقق للإنسان السعادة والأمن والسلامة من الأذى والأمراض.

٥) **الواقعية**: من أهم خصائص المنهج القرآني الوقائي أنه منهج واقعي، بمعنى: أنه قابل للتحقيق في الحياة وجاء مراعيا لواقع الإنسان والكون، فهو ليس نظرية عقلية منشؤها الخيال بل هو منهج وثيق الصلة بواقع الناس، جاء مراعيا لرغباتهم وتكوينهم واحتياجاتهم وبما يحقق المصلحة والمنفعة لهم.

وتتجلى هذه الخصيصة في المنهج القرآني الوقائي حينما نرى أن كل تشريعاته جاءت منصفة للإنسان وموافقة لواقع حياته، فالشرع الشريف حين ضمن كل تشريعاته ما يتحقق به الوقاية لجميع الخلق راعى حقيقة تكوينهم البشري، فربط بين مسألة مدى احتياجاتهم وبين مسألة أن تشريعاته جاءت على وفق ما يحقق نفعهم، ويتجلى ذلك واضحا في إلزام الناس بما يطيقون فعله أو الانتهاء عنه، قال تعالى:﴿ لَا

(١) تفسير الشعراوي (١٤/ ٨٣٧٧).

(٢) سورة:(البقرة)، الآية:(١٨٣).

(٣) السورة السابقة، من الآية:(١٨٤).

﴿يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾، فلا تكليف بما لا يطاق، ولا غلو ولا تعقيد، ولا إفراط ولا تفريط، وإنما اعتدال ووسطية في كافة تعاليمه وتشريعاته.

وبهذا نرى المنهج القرآني الوقائي منهج متوازن في تنظيمه، قائم على العدالة والمساواة، تطابق تكاليفه فطرة هذا الإنسان، ويراعي الظروف التي يعيشها المخاطَبون بهذا القرآن، وصدق الله العظيم حين قال: ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾[1].

وبعد هذه الجولة في بيان أهم سمات المنهج القرآني الوقائي نخلص إلى أن القرآن الكريم منهج وقائي عام، اتصف بخصائص حققت كل ما من شأنه نفع البشرية ككل، وضمنه رب العالمين ﷻ منهجا تربويا واضح المعالم يقود من اتبعه إلى سعادة الدارين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾[2]، فَنُبْل الهدف في القرآن في أنه ليس كتاب قصص أو تسلية أو أدب أو حكمة أو فلسفة أو تاريخ أو اجتماع، وإنما هو منهج متكامل للحياة الصحيحة في كل جوانبها[3].

(١) سورة:(النساء)، من الآية:(٨٢).

(٢) سورة:(الأعراف)، الآية:(٥٢).

(٣) أضواء على القرآن الكريم (بلاغته وإعجازه) (ص: ٩٦) بتصرف.

المبحث الثالث

معالم التربية الوقائية في القرآن الكريم

من أعظم الدلائل البينات والآيات المعجزات التي أيد الله بها نبيه محمداﷺ القرآن الكريم، فهو العصمة الواقية، والنعمة الباقية، كتاب مبارك شرع الله ﷻ فيه للناس أحكاما، وراعى فيه وضوح التعاليم والتشريعات ومناسبتها لجميع جوانب الحياة، وبيَّن لهم فيه منهجا تربويا واضح المعالم للسير عليه يقود من اتبعه إلى سعادة الدارين، يتمثل هذا المنهج الوقائي في عدة معالم يمكن تقسيمها إجمالا في مطلبين:

المطلب الأول: معالم وقائية خاصة بالفرد.

المطلب الثاني: معالم وقائية خاصة بالمجتمع.

المطلب الأول: معالم وقائية خاصة بالفرد.

لقد خلق الله الإنسان وكرمه، ومنحه العقل وميزه، وأحسن خِلْقَته وجمَّل صورتَه، فليس في المخلوقات جنس أحسن منه صورة، قال تعالى:﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾[(١)] أي: لقد خلقنا الإنسان في أعدل قامة وأجمل صورة وأحسن هيئة، ومنحناه بعد ذلك ما لم نمنحه لغيره من بيان فصيح وعقل راجح وعلم واسع، وإرادة وقدرة على تحقيق ما يبتغيه في هذه الحياة بإذننا ومشيئتنا[(٢)].

وإذا كان الإنسان مخلوقا مكرما لذا جاء الإسلام وعُنِي بالجسم الإنساني، وقرر قيمة البدن وحقه على صاحبه، ونجد هذا المعنى واضحا في قول النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص:«فإن لجسدك عليك حقا»[(٣)]، ومن حقه عليه أن يطعمه إذا جاع، ويريحه إذا تعب، وينظفه إذا اتسخ، ويداويه إذا مرض، وهو حق واجب لا يجوز في نظر الإسلام أن يُنسَى ويُهمَل لحساب الحقوق الأخرى؛ لأن الإسلام دين شامل

(١) سورة:(التين)، الآية:(٤).

(٢) التفسير الوسيط، د/ محمد سيد طنطاوي (١٥/ ٤٤٦) بتصرف.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ٣٩، ح: ١٩٧٥)، كتاب: الصوم، باب: حق الجسم في الصوم.

يُعنَى بشؤون الفرد والمجتمع، ويريد المسلم القوي في جسمه وعقله وروحه وإيمانه.

لهذا نجد حرص الإسلام على إنشاء الفرد الصالح القوي في كل ناحية من النواحي ومنها الناحية الجسدية، وذلك من خلال عدة تعاليم تساهم في الحفاظ على صحته، من أهم تلك التعاليم ما يلي:

أولا: التعاليم الخاصة بنظافة الجسد.

ثانيا: التعاليم الخاصة بالوقاية من الأمراض، هذا إجمال يحلو بعده التفصيل والبيان:

أولا: التعاليم الخاصة بنظافة الجسد.

إن الإسلام دين نظافة وجمال، يأمر أتباعه أن يطهروا أبدانهم من الأنجاس، وقلوبهم من الأحقاد والأضغان، ويفرض على المسلم أن يكون راقيا في سلوكه، منضبطا في تصرفاته، جميلا في مظهره، مبتهجا راغبا في حياة تسودها الطمأنينة، لذا دعا المسلمين إلى العناية بالطهارة والنظافة في شتى المجالات، وجعلها شعيرة من شعائر الدين وفريضة من فرائض الإسلام العظيم، حتى إنه جعلها شرطا من شروط أكبر العبادات وأعظم الفرائض والواجبات ألا وهي الصلاة، لذلك نجد في القرآن الكريم أمْر الله تعالى لرسوله ﷺ بالحفاظ والدوام على التكبير، وعقبه بالتطهير قائلا: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[1].

قال الإمام فخر الدين الرازي بعد أن ذكر عدة أوجه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾: «أما الاحتمال الأول: وهو أن يُترَك لفظ الثياب ولفظ التطهير على حقيقته، فهو أن نقول: المراد منه أنه عليه الصلاة والسلام أُمِرَ بتطهير ثيابه من الأنجاس والأقذار، وعلى هذا التقدير يظهر في الآية ثلاثة احتمالات أحدها: قال الشافعي: المقصود منه الإعلام بأن الصلاة لا تجوز إلا في ثياب طاهرة من الأنجاس»[2].

ومن هنا نجد النبي ﷺ وهو الأسوة والقدوة كان يُعنَى عناية بالغة بنظافة ثوبه وبدنه ومكانه، وبحسن هيئته وطِيب رائحته، ولذلك انجذبت إليه القلوب لكمال مظهره، والْتَفَّت حوله لجمال خُلُقِه وسمو

(١) سورة: (المدثر)، الآيتان: (٣، ٤).

(٢) تفسير مفاتيح الغيب (٣٠/ ٦٩٨).

توجيهاته، كان ﷺ يتجمل للوفود حين يلقاهم كما كان يتجمل للقاء ربه في صلاته، يقول عنه خادمه أنسﷺ :«ما شمَمْتُ عنبرا قط ولا مِسْكا ولا شيئا أطيبَ من ريح رسول الله ﷺ»[١]، ولا عجب في ذلك فهو القائل:«لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبْر»، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة، قال:«إن الله جميل يحب الجمال، الكِبْر بَطَرُ الحق وغَمْطُ الناس»[٢].

من خلال ما سبق يتبين أن النظافة في الإسلام أصل في بناء العبادة، وباب من أبواب التربية الوقائية لحفظ صحة الفرد ورعايته، إذ بها تحصل الطهارة، وتصان الأبدان، وبها تميز المسلمون عن غيرهم من الأقوام.

ومن هنا جاءت نصوص الشرع الحنيف تحث على رعاية هذا الأصل، فبين القرآن الكريم للمسلم أسس صحة العبادة، وجعل وضوءه واغتساله من أهم معالم النظافة الشخصية، وفيما يلي بيان لما جاء في القرآن من هذه المعالم الوقائية الخاصة بنظافة الجسد:

١) **الوضوء**: من أهم المجالات التي تُظهِر اهتمام الإسلام بالنظافة والطهارة أنه شرع الوضوء للصلوات الخمس في اليوم والليلة، وجعله مختصا بالأعضاء التي تتعرض بشكل أكبر للتلوث، فبين الله تعالى أهمية الطهارة وذكر كيفية القيام بها في أوضح بيان فقال:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾[٣].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ١٨١٤، ح: ٢٣٣٠)، كتاب: الفضائل، باب: طِيب رائحة النبي ﷺ ولين مسِّه والتبرك بمسحه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٩٣، ح: ٩١) عن عبد الله بن مسعود، كتاب: الإيمان، باب: تحريم الكِبْر وبيانه.

(٣) سورة:(المائدة)، الآية:(٦).

ففي الآية الكريمة أوجب الله الوضوء لكل صلاة، وغَسْل ونظافة الأعضاء الظاهرة التي تتعرض بشكل أكبر للغبار والأتربة، وهي الوجه واليدان إلى المرافق ومسح الرأس وغسل الرجلين إلى الكعبين، ولذلك جعل النبي ﷺ الوضوء شرطا لقبول الصلاة فقال:«لا تُقبَل صلاة بغير طُهُور»(١).

قال أبو جعفر الطبري عند تفسيره لهذه الآية الكريمة:«يعني جل ثناؤه بقوله:﴿ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾ ولكن الله يريد أن يطهركم بما فرض عليكم من الوضوء من الأحداث والغسل من الجنابة والتيمم عند عدم الماء، فتُنَظِّفُوا وتُطَهِّرُوا بذلك أجسامكم من الذنوب»(٢).

في حين قال الطاهر ابن عاشور وهو يبين لنا أهمية الطهارة وحكمة الأمر بالغسل والوضوء: الأصل في الترتيب الذكري أن يدل على الترتيب الوجودي، فالأرجل يجب أن تكون مغسولة(٣)، إذ حكمة الوضوء وهي النقاء والوضاءة والتنظف والتأهب لمناجاة الله تعالى تقتضي أن يبالَغ في غسل ما هو أشد تعرضا للوسخ، فإن الأرجل تلاقي غبار الطرقات، وتفرز الفضلات بكثرة حركة المشي ... وقوله:﴿ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾إشارة إلى أن من حكمة الأمر بالغسل والوضوء التطهير، وهو تطهير حسي لأنه تنظيف، وتطهير نفسي جعله الله فيه لما جعله عبادة(٤).

يتبين من كلام هذين الإمامين أن الوضوء شُرِعَ لحكم جليلة منها: أداء ما افترض الله علينا من العبادات، ومحو الذنوب والسيئات، والتجمل والنظافة من القذارة والروائح الكريهة، والتحفظ من الأوبئة والأمراض والجراثيم، وهذا ما أجمله المولى ﷻ وأشار إليه في قوله:﴿ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٢٠٤، ح:٢٢٤) عن عبد الله بن عمر، كتاب: الطهارة، باب: وجوب الطهارة للصلاة.

(٢) تفسير جامع البيان (١٠/ ٨٥).

(٣) يشير بذلك إلى أن قوله تعالى:﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾جملة معترَضة بين المتعاطفين، وهما قوله تعالى:﴿فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ ﴾وقوله تعالى:﴿وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ ﴾، وكأن فائدة الاعتراض الإشارة إلى ترتيب أعضاء الوضوء.

(٤) التحرير والتنوير (٦/ ١٣٠- ١٣٢) بتلخيص.

ولذلك أوجب الله في الوضوء غَسْل الأعضاء التي جمعتها آية المائدة السابقة لأنها تتعرض بشكل أكبر للتلوث والأتربة والجراثيم، ثم يأتي العلم الحديث اليوم ليكشف لنا عن أهمية غسل هذه الأعضاء في الوضوء، ويجلِّي لنا بوضوح الحِكَم الوقائية في فرضية الوضوء للأعضاء المذكورة في الآية الكريمة، وبيان ذلك كما يلي:

أ- **الأهمية الصحية لغسل الوجه:** الحكمة من غسل الوجه ظاهرة واضحة، فهو أكثر أماكن الجسم تعرضا للأتربة والميكروبات، ويوجد به أعضاء هامة وعزيزة على الإنسان مثل: العين والأنف والأذن والفم، وبغسل هذه الأعضاء يتم تنظيف الوجه من الميكروبات والطفيليات التي تخرج من الجلد وتتراكم على البشرة، وفي حال عدم تنظيف جلد الوجه بغسله بالماء والصابون في مواقيت متقاربة ألا وهي أوقات الوضوء ستحدث التقرحات والتهيجات، وتتراكم المادة الدهنية والغبار والأوساخ والجراثيم، فتنسد مسام الجلد، وبالتالي يضعف إفرازه للعَرَق ضعفا كبيرا، ومن ثَمَّ ترتفع نسبة الفضلات السامة في الدم، وينتج عن ذلك الإصابة بفقر الدم وشحوب اللون[١]، أضف إلى ذلك أن تكرار غسل الوجه ينشِّط بشرته، ويجعل أنسجتها مرنة وقوية غير مترهلة، مما يزيد في نضارة البشرة ويخفف من ظهور التجاعيد[٢].

ب- **الأهمية الصحية لغسل اليدين إلى المرفقين:** غسْل اليدين إلى المرفقين له حكمة بالغة، إذ إن اليدين والأظافر من أكثر أعضاء الجسم تعرضا للتلوث بالجراثيم ونقل الأمراض التي تتم عن طريق المصافحة وتناول الطعام، نظرا لطبيعة وجود اليدين والأظافر في الأماكن المتصلة بالعالم الخارجي والمعرضة للتلوث باستمرار، ومن هنا كان اهتمام الإسلام بغسل اليدين إلى المرفقين في الوضوء للحفاظ على نظافة الجلد من الجراثيم والأتربة والرواسب والفضلات التي تتسبب في سد مسام الجلد وإعاقته عن

(١) ينظر: من علم الطب القرآني (ص: ٢٤٣- ٢٤٥)، و(ص: ٨) بتصرف وتلخيص.

(٢) الموسوعة العلمية في الإعجاز القرآني (ص: ٩٩) بتلخيص.

أداء وظائفه[١].

جـ- الأهمية الصحية لمسح الرأس: مسْح الرأس فيه وقاية من الإصابة بالالتهابات الجلدية وغيرها من مشاكل فروة شعر الرأس، إذ يعد الجزء الأمامي من الرأس أكثر أجزائه تعرضا لتراكم الأتربة الممزوجة بالعرق والإفرازات الدهنية الخارجة من أعلى الجبهة، وبالمواظبة على مسح هذا الجزء من الرأس بالماء تزال بقايا تلك الإفرازات العالقة بالغبار والمحافظة على نظافته[٢].

د- الأهمية الصحية لغسل الرجلين إلى الكعبين: غسْل الرجلين إلى الكعبين خصته آية المائدة بالعناية نظرا لأهمية القدم وتعرضه للإصابات والأوساخ والفطريات والبكتريا، فالقدمان غالبا ما تكونان محبوستان لفترات طويلة داخل الحذاء، ونظرا لكثرة وجود الثنايا الجلدية بين أصابع القدمين وعدم تعرضهما للتهوية الكافية، بالإضافة إلى كثرة الإفرازات العَرَقِيَّة تصبح هذه البيئة أكثر ملاءمة لتكاثر الجراثيم والفطريات الضارة، فيصاب الإنسان بالالتهابات والعديد من الأمراض الجلدية المتنوعة، لذلك حرصت تعاليم الإسلام على ضرورة تنظيف القدمين والعناية بثنايا الجلد بين الأصابع[٣]، وفي هذا الصدد ينصحنا النبي الكريم ﷺ عند الوضوء بقوله:«إذا توضأتَ فخلِّل بين أصابع يديك ورجليك»[٤].

وبهذا يتبين أن عملية الوضوء المتكرر خمس مرات يوميا قبل كل صلاة بمثابة الرحمة من الخالق ﷻ بعباده المسلمين حرصا على سلامتهم، ووقايتهم من الإصابة بقائمة طويلة من الأوبئة والأمراض المعدية الفتاكة، إذ تعتبر عملية الوضوء حجر الزاوية في بناء علم الطب الوقائي لحماية المسلمين ووقايتهم من المشاكل الصحية والجلدية الخطيرة، وفي هذا الصدد يفيدنا الرسولﷺ بقوله:«من توضأ

---

(١) ينظر: موسوعة الإعجاز العلمي في سنة النبي الأمي (ص: ٤٤٦)، و(ص: ٨)، والموسوعة العلمية في الإعجاز القرآني (ص: ٩٩) بتلخيص.

(٢) الصلاة رياضة النفس والجسد (ص: ٦٥) بتلخيص.

(٣) ينظر: الصلاة رياضة النفس والجسد (ص:٦٧، ٦٨) بتلخيص، و(ص:٩).

(٤)أخرجه الترمذي في سننه (١/ ٥٧، ح: ٣٩) عن ابن عباس، أبواب: الطهارة، باب: في تخليل الأصابع، قال الترمذي:«هذا حديث حسن غريب».

فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره»[١]، ثم يزيدنا النبي الكريم شرحا في أهمية الوضوء وبيان فوائده الصحية بقوله الشريف: «إذا توضأ العبد فمضمض خرجت الخطايا من فيه، فإذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه، فإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من أشفار عينيه، فإذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج الخطايا من تحت أظفار يديه، فإذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من أذنيه، فإذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظفار رجليه»[٢]، ولعل تكرار لفظ «الخطايا» في الحديث يكون كناية عن الجراثيم والميكروبات الضارة بالإنسان، والتي تصيبه بالعديد من الأمراض إذا لم يحافظ على النظافة الشخصية اليومية، والتي تتمثل في عملية الوضوء المتكرر خمس مرات يوميا قبل كل صلاة، ولذا جاء التركيز في آية المائدة على نظافة الأعضاء الظاهرة التي تتعرض للغبار والأتربة والجراثيم، ونفهم بهذا حكمة التشديد على الطهارة في تعاليم الإسلام وربطها بأحكام الفرائض.

وبهذا نرى أن خمس مرات من النظافة والطهارة كل يوم تجعل الشخص غاية في اللطف والنقاء والطهر، وبعيدا عن التعرض للأوبئة والأمراض المعدية، وهذا ينعكس على الحالة النفسية للمؤمن فيشعر براحة وسكينة وطمأنينة، ويحوز وسام الإيمان الذي قال فيه النبي ﷺ: «ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن»[٣].

أرأيت أيها القارئ كيف أن القرآن الكريم قد سبق الأبحاث العلمية الحديثة والتعاليم الطبية الخاصة بالنظافة والوقاية من الأوبئة والأمراض بأكثر من ألف وأربعمائة عام!

٢) **الغسل**: من أهم المجالات التي تظهر اهتمام الإسلام بالنظافة والطهارة أنه شرع غسل جميع البدن، فأوجب الغسل عند الجنابة والحيض والنفاس، وحث عليه في الجُمَع والأعياد والاحتفالات وغير ذلك. ولذلك جعل الإسلام الاغتسال وسيلة ناجعة للطهارة والنظافة فدعا الناس إليها وحثهم عليها، قال

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٢١٦، ح: ٢٤٥) عن عثمان بن عفان، كتاب: الطهارة، باب: خروج الخطايا مع ماء الوضوء.

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه (١/ ٢٢٠، ح: ٤٤٦) عن عبد الله الصنابحي، كتاب: الطهارة، قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وليس له علة».

(٣) صحيح ابن حبان (٣/ ٣١١، ح: ١٠٣٧) عن ثوبان، كتاب الطهارة، قال المحقق/ شعيب الأرنؤوط: «حديث صحيح».

تعالى :﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[1]، وقال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ﴾[2]، وقال تعالى:﴿ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ﴾[3].

فالناظر في النصوص القرآنية السابقة يجد فيها حثا على النظافة والطهارة وتأكيدا على مشروعية الاغتسال، قال الإمام الآلوسي تعليقا على آية النساء:﴿ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ﴾ غاية للنهي عن قربان الصلاة حال الجنابة ... وفي الآية الكريمة رمز إلى أنه ينبغي للمصلي أن يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه، وأن يزكي نفسه عما يدنسها لأنه إذا وجب تطهير البدن فتطهير القلب أولى، لأنه إذا صِين موضع الصلاة عمن به حدث فلأن يصان القلب الذي هو عرش الرحمن عن خاطر غير طاهر ظاهر الأولوية[4].

في حين قال الدكتور/ محمد سيد طنطاوي تعليقا على آية المائدة:«والتعبير بقوله:﴿ فَٱطَّهَّرُوا۟ ﴾ فيه إشارة إلى وجوب العناية في تعميم الماء على الجسد كله، وإيماء إلى أن النجاسة المعنوية قد عمت كل أجزاء الجسم، فوجب أن تكون الطهارة عامة لكل أجزاء الجسم، ولا شك أن الاغتسال بعد الجنابة أو الحيض أو النفاس فيه إنعاش الجسم بعد أن أصابه التعب والإنهاك، وفيه كذلك طهارة نفسية، لأنه يبعث في الإنسان حسن الاستعداد لذكر الله ولأداء تكاليفه»[5].

فإذا كان الله العليم الحكيم قد أكد في قرآنه مرارا على مشروعية الاغتسال، فهذا التأكيد إنما هو لحماية الإنسان ووقايته من الأمراض المعدية والأوبئة الفتاكة، وهنا يأتي دور العلم الحديث ليؤكد أهمية

(١) سورة:(البقرة)، الآية:(٢٢٢).

(٢) سورة:(النساء)، من الآية:(٤٣).

(٣) سورة:(المائدة)، من الآية:(٦).

(٤) تفسير روح المعاني (٣/ ٣٩ (بتلخيص.

(٥) التفسير الوسيط (٤/ ٦٥).

الاغتسال ويجلي لنا بوضوح الحِكَم الوقائية في مشروعيته، وبيان ذلك: أن الاغتسال ينشط القلب والدورة الدموية، ويساعد على تنشيط الجسم وبث الحيوية فيه، ويقوم بدور هام في تطهير الجلد ومساماته من السموم، كما يؤمِّن سلامة وظائف الجلد العديدة، والتي من أهمها نقل الإحساسات، وتنظيم الحرارة، وحماية الجسم، ويعمل أيضا على تخليص الجسم من الأدران العالقة به، والتي تتكون من الطبقات المتوسطة من الجلد والمفرزات الدهنية والعَرَقِيَّة، ومن الغبار والأوساخ المختلفة(١)، ولذلك أثبتت التقارير الطبية لمنظمة الصحة العالمية عام ١٩٧٤م أن الاغتسال بالماء الجاري في حالات الوباء يزيل ٩٠٪ من الميكروبات العالقة بالجسم(٢).

من خلال ما سبق يتبين أن الإسلام قد ألزم المسلم بجملة من الواجبات والتشريعات المتعلقة بصحته ونظافته والتي لم تعرَف حكمتها إلا في العصر الحديث ومن هذه التشريعات الغسل من الجنابة والحيض والنفاس فقد جعل الإسلام بعض العبادات لا تصح إلا بالتطهر من هذه الأمور، ولذا جاء تأكيد الأمر بقوله تعالى:﴿ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُواْ ﴾، وحفاظا على صحة الإنسان ووقايته عُنِيَ النبي ﷺ به أيضا في سنته الشريفة، ووقَّت له يوما كل أسبوع للغسل، وفي هذا الصدد يفيدنا الرسولﷺ بقوله:«حق لله على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام، يغسل رأسه وجسده»(٣)، وقال أيضا:«الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم»(٤)، بل ورد عن النبي ﷺ أمر أكيد بتطهير الأجساد فقال:«طهِّروا هذه الأجساد طهركم الله، فإنه ليس عبد يبيت طاهرا إلا بات معه في شِعَارِهِ مَلَك، لا ينقلب ساعة من الليل إلا قال: اللهم اغفر

(١) ينظر: الموسوعة العلمية في الإعجاز القرآني (ص:١٠٠)، ومن علم الطب القرآني (ص:٢٤٤- ٢٤٥)، ومع الطب في القرآن الكريم (ص:١٢٢، ١٢٣) بتصرف وتلخيص.

(٢) الإسلام والوقاية من الأمراض (ص:١٢).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٢/ ٥٨٢، ح: ٨٤٩) عن أبي هريرة، كتاب، الجمعة، باب: وجوب غسل الجمعة على كل بالغ من الرجال وبيان ما أُمِرُوا به.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ١٧١، ح: ٨٥٨) عن أبي سعيد الخدري، كتاب: الأذان، باب: وضوء الصبيان، ومتى يجب عليهم الغسل والطهور، وحضورهم الجماعة والعيدين والجنائز وصفوفهم.

لعبدك فإنه بات طاهرا»[١].

أرأيت أيها القارئ السبق العلمي والعملي للقرآن الكريم في تشريعه للطهارة وحثه عليها لحماية الإنسان ووقايته من الأوبئة والأمراض بأكثر من ألف وأربعمائة عام!

فصدق الله العظيم، وصدقت آيات كتابه الكريم التي جاءت عظة ورحمة ونفعا للعالمين، ولا نملك إلا أن نقول:﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[٢].

ثانيا: التعاليم الخاصة بالوقاية من الأمراض.

من الأمور التي وجه الإسلام إليها عناية بالغة واعتبرها من صميم رسالته وعدها من الأساسيات الهامة التي لا غنى للإنسان عنها بشكل عام «**صحة الأبدان وجمالها ونضارتها**»، فما مُنِحَ الإنسان نعمة بعد التوحيد والإيمان أعظم من نعمة الصحة والسلامة من الأمراض والأسقام، قال النبي ﷺ:«سلوا الله العفو والعافية والمعافاة، فإنه ما أوتي عبد بعد يقين خيرا من معافاة»[٣].

ولذلك فإن من مظاهر عظمة الإسلام ومفاخره اهتمامه بصحة الإنسان وجعْلها من أهم أولوياته، حيث ذكَّره بأهميتها وعظيم شأنها، وبيَّن أنها من أهم النعم التي أنعم الله بها على عباده وهم يغفلون عنها وعن

(١) أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط (٥/ ٢٠٤، ح: ٥٠٨٧) عن ابن عباس، وحسَّن إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٠/ ١٢٨، ح: ١٧٠٧٤)، كتاب: الطهارة، باب: فيمن يبيت على طهارة.

(٢) سورة:(آل عمران)، الآية:(٥٣).

(٣)أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٩/ ٣٢٥، ح: ١٠٦٥١) عن أبي بكر الصديق، كتاب عمل اليوم والليلة، قال العراقي:«رواه النسائي في اليوم والليلة، وابن ماجة بإسناد حسن من حديث أبي بكر الصديق بلفظ:(وسلوا الله المعافاة، فإنه لم يؤت أحد بعد اليقين خيرا من المعافاة)». تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (٢/ ٧٩٧)

استغلالها، قال النبي ﷺ:«نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ[١]»[٢]، ووضع الإسلام العديد من الأساليب بهدف الوقاية من التعرض للأوبئة والأمراض ليكون المجتمع الإسلامي مجتمعا قويا آمنا معافى، وهذا ينعكس بشكل إيجابي على كفاءة أفراد المجتمع وطاقته الإنتاجية وقوته، قال تعالى:﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾[٣]، فالآية الكريمة فيها توجيه وحث من الله لعبادة بالبعد عن موارد التهلكة حماية للنفس وحفظا لها، قال الإمام الطبري في معناها:«ولا تستسلموا للهلكة فتعطوها أزِمَّتكم فتهلَكوا»[٤].

ولذلك عُنِيَ الإسلام بأمر الصحة عناية فائقة، وأرشدنا الله ورسوله ﷺ إلى جملة من التعاليم الخاصة بالوقاية من الأمراض منها ما يلي:

أولا: فريضة الصيام:

من العبادات التي شرعها الله في قرآنه وبها يقي الإنسان نفسه من الأمراض «**فريضة الصيام**»، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[٥]، قال ابن كثير:«لأن الصوم فيه تزكية للبدن، وتضييق لمسالك الشيطان»[٦].

فقوله تعالى:﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ جملة تعليلية جيء بها لبيان فائدة الصوم وحكمة مشروعيته، فكأنه ﷻ يقول لعباده المؤمنين: فرضنا عليكم الصيام كما فرضناه على الذين من قبلكم لعلكم بأدائكم لهذه

---

(١) نقل ابن حجر عن ابن بطال قال:«معنى الحديث: أن المرء لا يكون فارغا حتى يكون مَكْفِيًّا صحيح البدن، فمن حصل له ذلك فليحرص على أن لا يَغْبِن، بأن يترك شكر الله على ما أنعم به عليه، ومن شكره امتثال أوامره واجتناب نواهيه، فمن فرط في ذلك فهو المغبون». فتح الباري (١١/ ٢٣٠)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ٨٨، ح: ٦٤١٢) عن ابن عباس، كتاب: الرقاق، باب: لا عيش إلا عيش الآخرة.

(٣) سورة:(البقرة)، من الآية:(١٩٥).

(٤) تفسير جامع البيان (٣/ ٥٩٣).

(٥) سورة:(البقرة)، الآية:(١٨٣).

(٦)تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٩٧).

الفريضة تنالون درجة التقوى والخشية من الله تعالى، ولا شك أن هذه الفريضة ترتفع بصاحبها إلى أعلى عليين متى أداها بآدابها وشروطها، ويكفي أن الرسول ﷺ قد قال في شأن الصوم:«الصيام جُنَّة[1]»[2].

وقد أشار الطاهر ابن عاشور إلى الوقاية الحاصلة من الصيام بقوله:«وقوله:﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ بيان لحكمة الصيام وما لأجله شُرِع، ففي الصوم وقاية من الوقوع في المآثم، ووقاية من الوقوع في عذاب الآخرة، ووقاية من العلل والأدواء الناشئة عن الإفراط في تناول اللذات»[3].

فالحكمة العظمى التي شُرِع الصيام لأجلها تتجلى في قوله:﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي: إنه فرضه عليكم ليُعِدَّكم لتقوى الله بترك الشهوات المباحة الميسورة امتثالا لأمره واحتسابا للأجر عنده، فتتربى بذلك العزيمة والإرادة على ضبط النفس وترك الشهوات المحرمة والصبر عنها، وقد جاء في الحديث:«الصيام نصف الصبر»[4]،

وبهذا نعلم أنه ما كُتِب علينا الصوم إلا لمنفعتنا[5]، ولذلك نص الله تبارك وتعالى على خيرية هذه العبادة في قوله:﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[6].

وإعداد الصوم لتقوى الله يظهر من وجوه كثيرة أعظمها شأنا:«أنه يُفنِي المواد الراسبة في البدن، ولاسيما

(١) جُنَّة -بضم الجيم- معناه: سُتْرَة ومانع من الرفث والآثام، ومانع أيضا من النار. شرح النووي على مسلم (٨/ ٣٠-٣١) نقل ابن حجر عن ابن العربي قال:«إنما كان الصوم جُنَّة من النار لأنه إمساك عن الشهوات، والنار محفوفة بالشهوات، فالحاصل أنه إذا كف نفسه عن الشهوات في الدنيا كان ذلك ساترا له من النارفي الآخرة». فتح الباري (٤/ ١٠٤)

(٢)أخرجه مسلم في صحيحه (٢/ ٨٠٦، ح: ١١٥١) عن أبي هريرة، كتاب الصيام، باب: فضل الصيام.

(٣)التحرير والتنوير (٢/ ١٥٨) بتلخيص.

(٤)أخرجه ابن ماجة في سننه (١/ ٥٥٥، ح: ١٧٤٥) عن أبي هريرة، كتاب: الصيام، باب: في الصوم زكاة الجسد. والحديث إسناده ضعيف من الطريقين معا، فيه (موسى بن عبيدة الربذي)، وهو متفق على تضعيفه، ومدار الإسنادين عليه. صباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة (٢/ ٧٩) .

(٥) تفسير المراغي (٢/ ٦٨).

(٦)سورة:(البقرة)، من الآية:(١٨٤).

في أجسام المترفين أُولِي النَّهَم[١] قليلي العمل، ويجفف الرطوبات الضارة، ويطهر الأمعاء من السموم التي تحدثها البِطْنَة[٢]، ويذيب الشحم الذي هو شديد الخطر على القلب، وقد أُثِرَ عنه ﷺ أنه قال:«صوموا تصحوا»[٣]، وقال بعض علماء أوروبا: إن صيام شهر واحد في السنة يُذهِب الفضلات الميتة في البدن مدة سنة، ومن يصم على هذا الوجه يكن راضيا مرضيا مطمئنا لا يجد في نفسه اضطرابا ولا قلقا من مزعجات الحوادث ولا عظيم المصايب والكوارث، نعم إن وُجِد شيء من هذا كان جثمانيا لا روحانيا»[٤].

فإذا كان الله تعالى قد شرع في قرآنه فريضة الصيام وبيَّن الحكمة العظمى التي شُرِع لأجلها بقوله:﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، فإن العلم الحديث قد أثبت لنا أيضا أن الصيام له فوائده الكثيرة في الجانب الصحي الوقائي، **وبيان ذلك**: أن الصيام فيه راحة للمعدة، وتنظيم للتغذية، وتهذيب للغريزة، وقد ثبت من خلال الأبحاث الطبية بعض الفوائد الصحية والوقائية للصيام منها على سبيل المثال:

١- أنه يقوي جهاز المناعة، فيقي الجسم من أمراض كثيرة.

٢- يحسن وظيفة الهضم، ويسهل الامتصاص، ويسمح بتصحيح فرط التغذية، ويفتح الذهن ويقوي الإدراك.

٣- يقي الجسم من مرض السُّمْنَة وأخطار السموم المتراكمة في الخلايا والأنسجة، ويساعد في عدم ترسب أملاح البول التي تكوِّن حصيات المسالك البولية، وبالتالي يقي الجسم من تكون حصيات الكِلَى.

٤- يقي الجسم من الاضطرابات النفسية والعلل الجسمية والانحرافات السلوكية، حيث يهدِّئ ثورة الغريزة الجنسية وخصوصا عند الشباب، وذلك تحقيقا للإعجاز في حديث النبيﷺ :«يا معشر الشباب

---

(١) النَّهَم -بالتحريك-: إفراط الشهوة في الطعام. الصحاح تاج اللغة (٥/ ٢٠٤٧)، مادة:(نَهَمَ)

(٢) البِطْنَة: الامتلاء الشديد من الطعام، يقال:(ليس للبِطْنَة خير من خِمْصَة تتبعها). مختار الصحاح (ص: ٣٦)، مادة:(بَطَنَ)

(٣) أخرجه أبو نعيم في الطب النبوي (١/ ٢٣٦، ح: ١١٣) عن أبي هريرة، باب: تدبير الصحة وأن الصوم مصحة، والحديث ضعف إسناده العراقي في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (٤/ ١٦٠٦)، قال محمد طاهر الصديقي الفَتني:«خلاصة «صوموا تصحوا» موضوع عند الصغاني، وفي المختصر هو ضعيف». تذكرة الموضوعات (ص: ٧٠)

(٤) تفسير المراغي (٢/ ٧٠).

من استطاع منكم البَاءَة[١] فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجَاء[٢]»[٣].

٥- بالصوم يستطيع البدن تحليل المواد الزائدة والترسبات المختلفة داخل الأنسجة المريضة، وإعادة الحيوية والنشاط إلى الخلايا والأنسجة المختلفة في البدن[٤].

هذه بعض فوائد الصوم من الناحية العلمية والطبية، لكن يبقى الهدف الأول والأعظم من مشروعية الصيام وهو الهدف الأخلاقي والروحي الذي شُرِع الصيام لأجله في قوله تعالى:﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾.

من خلال ما سبق يتبين أن الله تعالى قد فرض الصيام علينا وعلى الذين من قبلنا لنكتسب به التقوى التي تحجزنا عن المعاصي والآثام، ولنتوقى به الكثير من الأمراض والعلل والأسقام، فهو عبادة وطاعة لله، وهو تربية جسدية وصحية، وهو كما قال الشاعر أحمد شوقي:«حرمان مشروع، وتأديب بالجوع، وخشوع لله وخضوع، لكل فريضة حكمة، وهذا الحكم ظاهره العذاب وباطنه الرحمة، يستثير الشفقة، ويحض على الصدقة، يكسر الكبر، ويعلِّم الصبر، ويسُّن خلال البر»[٥].

---

(١) البَاءَة: أصلها في اللغة: الجماع، مشتقة من المباءة، وهي المنزل، ومنه (مباءة الإبل) وهي مواطنها، ثم قيل لعقد النكاح (باءة)؛ لأن من تزوج امرأة بوأها منزلا، واختلف العلماء في المراد بـ«الباءة» هنا على قولين يرجعان إلى معنى واحد، أصحهما أن المراد معناها اللغوي وهو (الجماع)، فتقديره:من استطاع منكم الجماع لقدرته على مؤنه وهي مؤن النكاح فليتزوج.

القول الثاني: أن المراد هنا بالباءة:(مؤن النكاح)، سميت باسم ما يلازمها وتقديره: من استطاع منكم مؤن النكاح فليتزوج. شرح النووي على مسلم (٩/ ١٧٣) بتلخيص

(٢)الوِجَاء -بكسر الواو وبالمد-: المراد هنا أن الصوم يقطع الشهوة ويقطع شر المني كما يفعله الوجاء. المصدر السابق (٩/ ١٧٣)

(٣) صحيح مسلم (٢/ ١٠١٩، ح: ١٤٠٠) عن عبد الله بن مسعود، كتاب: النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه.

(٤) يراجع: الطب الوقائي في الإسلام (ص: ٦٢- ٦٧)، والوقاية الصحية في السنة النبوية دراسة موضوعية (ص:٩٣-٩٥) بتلخيص، وتفوق الطب الوقائي في الإسلام (ص:١٧)، وبحث بعنوان: الإعجاز العلمي في الصيام، تأليف: د/ عبد الجواد الصاوي، ضمن أبحاث موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (ص: ٩٤٨- ٩٥٣).

(٥)أسواق الذهب (ص:٨٤).

ثانيا: النهي عن الإسراف في الطعام والشراب:

من التعاليم الوقائية الخاصة بمنع الأمراض «**النهي عن الإسراف في الطعام والشراب**»، فالإفراط في تناول الطعام والشراب سبب للكثير من الأمراض، ولذا جاءت القاعدة القرآنية الوقائية تنهانا عن الإسراف في المآكل والمشارب، قال تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[١] أي: في الطعام والشراب[٢].

قال بعض السلف: «جمع الله الطب كله في نصف آية: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾»[٣]، وقال ابن عباس: «كل ما شئت والبَس ما شئت ما أخطأَتْك اثنتان: سَرَف أو مَخِيلَة[٤]»[٥].

فالآية القرآنية السابقة ترسم لنا منهجا تربويا وقائيا قائما على التوازن والاعتدال وعدم الإسراف في تناول الطعام والشراب، ثم نفي محبة الله للمسرفين وهذا فيه نهاية الوعيد والتهديد لهم، قال الزجاج[٦]: «والإسراف أن يأكل ما لا يحل أكله مما حرم الله تعالى أن يُؤكَل شيء منه، أو تأكل مما أُحِل لك فوق القصد ومقدار الحاجة، فأعلم الله ﷻ أنه لا يحب من أسرف، ومن لم يحبه الله ﷻ فهو في النار»[٧].

وأشار الفخر الرازي إلى هذا المعنى عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ قائلا: «وهذا نهاية التهديد؛ لأن كل ما لا يحبه الله تعالى بقي محروما عن الثواب؛ لأن معنى محبة الله تعالى العبد إيصاله

---

(١) سورة: (الأعراف)، من الآية: (٣١).

(٢) تفسير جامع البيان (١٢/ ٣٩٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٤٠٦).

(٤) المَخِيلة: بمعنى الخيلاء، وهو التكبر. فتح الباري (١٠/ ٢٥٣)

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ١٤٠)، كتاب اللباس، باب: قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾.

(٦) الزجاج: هو إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج، كان من أهل الفضل والدين، حسن الاعتقاد، جميل المذهب، له من التصانيف: «معاني القرآن، والاشتقاق، ومختصر النحو، ومعاني القرآن وإعرابه» وغير ذلك، مات ببغداد سنة (٣١١هـ). طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٩-١٢)

(٧) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٣٣).

الثواب إليه، فعدم هذه المحبة عبارة عن عدم حصول الثواب، ومتى لم يحصل الثواب فقد حصل العقاب؛ لانعقاد الإجماع على أنه ليس في الوجود مكلَّف لا يُثاب ولا يعاقَب»[١].

ومن الآيات القرآنية التي حذرت أيضا من الإسراف عند تناول الطعام قوله تعالى:﴿ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾[٢]، فقد اختار الإمام الطبري أن قوله:﴿ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ ﴾ نهي عن جميع معاني الإسراف، ولم يخصص منها معنى دون معنى[٣]، ولا شك أنه صحيح، لكن الظاهر -والله أعلم- من سياق الآية أن يكون قوله:﴿ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ ﴾ عطف على ﴿ كُلُواْ ﴾، أي: كلوا غير مسرفين، والمعنى: ولا تسرفوا في الأكل لما فيه من مضرة العقل والبدن، وهذا كقوله تعالى:﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾[٤].

فإذا كان الداء في الإفراط في تناول الطعام، فإن الدواء في الاعتدال في تناوله، ولذا ذم النبي ﷺ كثرة الأكل بقوله لمن تَجَشَّأَ عنده:«كُفَّ عنا جُشَاءَك[٥]، فإن أكثرَهم شِبَعًا في الدنيا أطوَلُهُم جوعا يوم القيامة»[٦]، وأخبر النبي ﷺ أن البطن شر وعاء يُملَأ، ثم أرشدنا إلى المقدار المناسب الذي يجب تناوله، وهذا من قمم الإعجاز العلمي الصحي والوقائي، وجوامع كلِمِه وحكمته العالية، فقال ﷺ:«ما ملأ آدمي وِعَاء شرًّا

(١)تفسير مفاتيح الغيب (١٤/ ٢٣٠).

(٢) سورة:(الأنعام)، من الآية:(١٤١).

(٣)تفسير جامع البيان (١٢/ ١٧٦).

(٤)تفسير القرآن العظيم (٣/ ٣٥٠)، والتحرير والتنوير (٨ / ١٢٢، ١٢٣) بتلخيص

(٥)الجُشَاء: هو الريح الذي يخرج من المعدة عند الشِّبَع، والنهي عن الجُشَاء نهي عن سببه وهو الشِّبَع، وهو مذموم طِبًّا وشرعا، كيف وهو يقرب الشيطان، ويهيج النفس إلى الطغيان، والجوع يضيق مجاري الشيطان، ويكسر سطوة النفس فيندفع شرهما. فيض القدير شرح الجامع الصغير (٥/ ٨)

(٦)أخرجه الترمذي في سننه (٤/ ٦٤٩، ح: ٢٤٧٨) عن ابن عمر، أبواب: صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، قال الترمذي:«هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه».

من بطن[١]، بحسْب ابن آدم أُكُلَاتٌ[٢] يُقِمْنَ صُلْبَه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفَسِه»[٣]، فما أعظم حكمة سيدنا رسول الله ﷺ في هذا الدستور الذي وضعه لحماية الجسم البشري! فيجب على الإنسان أن يتناول من الطعام قدر ما يقيم صلبه، وأن يكون معتدلا في كميته وكيفيته، فإذا توسط في الغذاء وتناول منه قدر حاجته كان انتفاع البدن به أكثر من انتفاعه بالغذاء الكثير الذي يؤثر على صحته، وهذا من الأسس التربوية التي ربى النبي ﷺ الإنسان عليها إذا أراد أن يعيش سليما معافى من العلل والأمراض، ولذلك جعل النبي ﷺ قلة الأكل صفة للمؤمن فقال:«المؤمن يأكل في مِعًى[٤] واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء[٥]»[٦].

وقد جاء في فوائد الجوع وآفات الشِّبَع أن في الجوع صفاء القلب وإيقاد القريحة، وإنفاذ البصيرة، فإن الشِّبَع يورث البَلَادة ويعمي القلب، ولهذا قال لقمان لابنه:«يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفِكْرَة،

---

(١)في هذا الحديث جعل النبي ﷺ البطن أولا وعاء كالأوعية التي تُتخَذ ظروفا لحوائج البيت توهينا لشأنه، ثم جعله شر الأوعية لأنها استُعْمِلَت فيما هي له، والبطن خُلِقَ لأن يتقوم به الصلب بالطعام، وامتلاؤه يفضي إلى الفساد في الدين والدنيا فيكون شرا منها. تحفة الأحوذي (٧/ ٤٣)

(٢)أُكُلَات -بضمتين- والأُكْلَة -بالضم-: اللقمة، أي: يكفيه هذا القدر في سد الرمق وإمساك القوة. تحفة الأحوذي (٧/ ٤٤)

(٣)أخرجه الترمذي في سننه (٤/ ٥٩٠، ح: ٢٣٨٠) عن مقدام بن معدي كرب، أبواب: الزهد عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في كراهية كثرة الأكل، قال الترمذي:«هذا حديث حسن صحيح».

(٤)مِعًى-بكسر الميم والتنوين- والجمع:(أمعاء)، وهي المصارين. شرح النووي على مسلم (١٤/ ٢٣)

(٥) المراد بالحديث: أن المؤمن يقتصد في أكله، وأما كون الكافر يأكل في سبعة أمعاء فهو كناية عن الشَّرَه والرغبة في متاع الدنيا وملذاتها، والحرص على التشبع من شهواتها التي من جملتها تنوع المآكل والمشارب والامتلاء منها، وقيل في معناه غير ذلك.

صحيح البخاري (٧/ ٧١، ح: ٥٣٩٣)، تعليق: د/ مصطفى ديب البغا

قال الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم (١٤/ ٢٥):«قال العلماء: ومقصود الحديث: التقليل من الدنيا والحث على الزهد فيها والقناعة، مع أن قلة الأكل من محاسن أخلاق الرجل، وكثرة الأكل بضده».

(٦)أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٧١، ح: ٥٣٩٣) عن ابن عمر، كتاب: الأطعمة، باب: المؤمن يأكل في مِعًى واحد.

وخَرِسَتِ الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة»[١]، وقال عمر بن الخطاب محذرا من الامتلاء الشديد من الطعام والشراب:«إياكم والبِطْنَةَ في الطعام والشراب، فإنها مَفْسَدَة للجسد، مُورِثَة للسَّقَم، مَكْسَلَة عن الصلاة، وعليكم بالقصد فيهما فإنه أصلحُ للجسد، وأبعدُ من السَّرَف»[٢].

فالإسراف في تناول الطعام والشراب من العادات التي يلزم الانتهاء عنها لأنه يؤدي بالإنسان إلى عواقب وخيمة، قال الطاهر ابن عاشور:«والإسراف إذا اعتاده المرء حمله على التوسع في تحصيل المرغوبات، فيرتكب لذلك مذمات كثيرة، وينتقل من ملذة إلى ملذة فلا يقف عند حد»[٣].

وإذا كان الإسراف في الطعام مذموما شرعا، فإن العلم الحديث قد أكد أيضا على أنه يؤدي إلى مشاكل صحية كبيرة قد يكون نهايتها الموت والهلاك، فالإسراف في الطعام له -غير ما ذُكِر- مضار كثيرة مثل: السُّمْنَة -وهي من أخطر الأمراض المعاصرة[٤]- واضطراب الجهاز الهضمي، والإسهال، والإمساك، وعسر الهضم، وكثرة الغازات، والنقرس، وأمراض القلب، وتصلب الشرايين، وارتفاع ضغط الدم، والجلطة، والحصوات الكلوية، وغير ذلك من الأمراض التي تنتج من سموم الأغذية المتراكمة والمترسبة في أنسجة الجسم كمرض السرطان[٥]، أضف إلى ذلك أن الإكثار من الطعام يصيب المعدة بالإرهاق والكسل عن الهضم وتخمر الأغذية، وقد يُحدِث القرحة والالتهابات في المعدة والمرئ

(١)إحياء علوم الدين (٣/ ٨٤) بتلخيص.

(٢)أخرجه أبو نعيم الأصفهاني في الطب النبوي (١/ ٢٤٣، ح: ١٢٧).

(٣) التحرير والتنوير (٨ / ١٢٣).

(٤) أثبتت الإحصائيات أنه كلما زاد الوزن عن ٣٠ ٪ من المعدل الطبيعي زادت نسبة الوفيات٣٠ ٪، وإذا زادت نسبة الوزن إلى ٣٥ ٪ ارتفعت نسبة الوفاة إلى٥٠ ٪، وتصبح١٠٠ ٪ إذا تضاعف الوزن، وينتج عن السمنة أمراض خطيرة كاحتشاء العضلة القلبية وخناق الصدر، والداء السكري، وفرط توتر الدم، وتصلب الشرايين. إعجاز القرآن والسنة في الطب الوقائي (ص:١٠٧)

(٥)يراجع: تفوق الطب الوقائي في الإسلام (ص:١٧)، والطب الوقائي للمحافظة على الصحة العامة (ص:١٤٧)، وإعجاز القرآن والسنة في الطب الوقائي والكائنات الدقيقة (١٠٧، ١٠٨) بتلخيص.

والاثنى عشر، وكثيرا ما تتمدد المعدة بسبب زيادة الطعام، وتحدث فيها جيوب خارجية يترسب فيها الطعام الزائد ويتعفن، وتحدث هذه الأمراض كلها عن الأكل الزائد[١].

فالمتتبع للأضرار الناتجة عن الإسراف في الطعام والشراب يدرك روعة التربية القرآنية الوقائية من هذه الخصلة الذميمة، ويدرك من خلالها معنى النهي في قوله تعالى:﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ﴾.

ولذا أجمع الأطباء قديما وحديثا على أن «المعدة بيت الداء، والحِمْيَة[٢] رأس الدواء»[٣]، فهذه حكمة مشهورة قيلت منذ مئات السنين، وقد جمعت من الأسرار الطبية الشيء الكثير، ولا زال العلم الحديث يثبت صحتها يوما بعد يوم.

من خلال ما سبق يتبين لك أيها القارئ الكريم أن الإسلام قد جاء بما يحفظ للإنسان صحته وقوته، وأنه قد وضع نظرية الاعتدال في الطعام والشراب بقوله:﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ﴾، وأن الصيام وتقليل الطعام خير علاج للوقاية من الأمراض، فإذا أراد الإنسان أن يعيش سليما معافى من العلل والأسقام فيكفيه لقيمات يُقِمْنَ صُلْبَه، فإن تجاوزها فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفَسِه كما أرشدنا النبي الكريم ﷺ.

---

(١) الطب الوقائي في الإسلام (ص:٥٣).

(١) الحِمْيَة: الإقلال من الطعام ونحوه مما يضر. المعجم الوسيط (١/ ٢٠١)، باب الحاء والمعنى: أن الجوع هو الدواء العظيم الذي هو أصل الأدوية. تاريخ ابن خلدون (١/ ٥٢١)

(٣) هذا القول لا يصح رفعه إلى النبي ﷺ، بل هو من كلام الحارث بن كَلَدَة طبيب العرب أو غيره. ينظر: المقاصد الحسنة (ص: ٦١١)، واللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة المعروف بـ«التذكرة في الأحاديث المشتهرة» (ص:١٤٥)

المطلب الثاني: معالم وقائية خاصة بالمجتمع.

إن عناية الإسلام بالإنسان ليست مقتصرة على الفرد فقط، بل للمجتمع نصيب منها، حيث حرص الإسلام كل الحرص على إيجاد مجتمع عفيف طاهر لا تثار فيه الشهوات، ولا تنتهك فيه المحرمات، ولذلك وضع الإسلام عدة أساليب وقائية تُعنَى بالمجتمع وتساهم في الحفاظ عليه ليكون المجتمع الإسلامي مجتمعا قويا آمنا معافى من الأوبئة والأمراض، ومن أهم تلك التعاليم الوقائية ما يلي:

أولا: التحذير من ارتكاب الفواحش.

ثانيا: تحريم الخبائث الضارة بالجسم من المطعومات والمشروبات، هذا إجمال يحلو بعده التفصيل والبيان:

أولا: التحذير من ارتكاب الفواحش.

لقد جاء الإسلام بمنهج قرآني وقائي يحفظ الأعراض، ويسعى في زرع عناصر تماسك المجتمع وتحقيق سبل سعادته واستقراره، ومن هنا فقد حذر الله تعالى من الفواحش ما ظهر منها وما بطن حفظا للنفس، ومنعا لانتشار الأوبئة والأمراض، قال تعالى:﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾[1]، وقال تعالى:﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾[2]، وتعليق النهي بقربانها للمبالغة في الزجر عنها؛ لأن قربانها قد يؤدي إلى الوقوع فيها، فمن حام حول الحِمَى يوشك أن يقع فيه، وهذا لون حكيم من ألوان إصلاح النفوس، لأنه إذا حصل النهي عن القرب من الشيء فلأن يُنهَى عن فعله من باب أولى.

ولو أريد النهي عن نفس الزنا لقال سبحانه:(ولا تزنوا)، وإنما هو نهي عن دواعي الزنا كالمس والقبلة ونحوهما، فكأنه سبحانه يقول: كونوا أيها المسلمون بعيدين عن كل المقدمات التي تُفضِي إلى فاحشة الزنا كمخالطة النساء والخلوة بهن والنظر إليهن، فإن ذلك يفتح الطريق إلى الوقوع فيها، ولذلك بين ﷻ علة النهي عن الاقتراب من فاحشة الزنا بقوله:﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ أي: ابتعدوا عن مقدمات الزنا فضلا عن الوقوع فيه ذاته، لأنه كان وما زال في شرع الله وفي نظر كل عقل سليم فعلة فاحشة

---

(١) سورة:(الأنعام)، من الآية:(١٥١).

(٢) سورة:(الإسراء)، الآية:(٣٢).

ظاهرة القبح، وبئس الطريق طريقه، فإنها طريق تؤدي إلى غضب الله تعالى وسخطه(١).

وبهذا يتبين أن المنهج القرآني الوقائي وهو يحذر من مجرد مقاربة الزنا يقصد بذلك المبالغة في التحرز من هذا الفعل الشنيع ليحفظ المجتمع من التردي والانحلال.

ومما يلحق بهذه الفاحشة النكراء ما أخبر الله به في قرآنه عن قصة قوم لوط، وأنهم كانوا أول أمة في الأرض تمارس الشذوذ الجنسي، فكانت عاقبتهم أن جعل عالِيهَا سافِلَها، وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود، قال تعالى:﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾(٢)، قال النبي ﷺ:«ملعون مَن عَمِل بعمل قوم لوط»(٣).

قال الإمام أبو حيان:«والاستفهام هو على جهة الإنكار والتوبيخ والتشنيع والتوقيف على هذا الفعل القبيح، والفاحشة هنا: إتيان ذُكرَان الآدميين في الأدبار، ولما كان هذا بالفعل معهودا قبحه، ومركوزا في العقول فحشه، أتى معرفا بالألف واللام، أو تكون (أل) فيه للجنس على سبيل المبالغة، كأنه لشدة قبحه جُعِل جميع الفواحش، ولبعد العرب عن ذلك البعد التام، وذلك بخلاف الزنا فإنه قال فيه:﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً ﴾، فأتى به منكرا أي: فاحشة من الفواحش، وكان كثير من العرب يفعله، ولا يستنكرون من فعله ولا ذكره في أشعارهم، والجملة المنفية تدل على أنهم هم أول من فعل هذه الفعلة القبيحة وأنهم مبتكروها، والمبالغة في ﴿ مِّنْ أَحَدٍ ﴾حيث زيدت لتأكيد نفي الجنس وفي الإتيان بعموم ﴿ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ جمعا»(٤).

فإذا كان المنهج القرآني قد حذر تحذيرا شديدا من ارتكاب مثل هذه الفواحش التي تؤدي إلى شيوع

---

(١)تفسير النسفي (٢/ ٢٥٥)، والتفسير الوسيط، د/ محمد سيد طنطاوي (٨/ ٣٣٩ - ٣٤٠) بتصرف.

(٢) سورة:(الأعراف)، الآيات (٨٠-٨٤).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٤٣٦، ح: ١٨٧٥)، مسند عبد الله بن العباس، قال المحقق/ أحمد شاكر:«إسناده صحيح».

(٤) البحر المحيط في التفسير (٥/ ٩٩).

الفساد والأوبئة والأمراض الخبيثة في الأفراد والمجتمعات، فإن النبي ﷺ قد حذرنا من عواقب الفواحش عامة ومن إعلانها في المجتمع خاصة، وبيَّن أنها سبب لمقت الله وعذابه، وشيوع الأمراض والأوجاع التي لم تكن معهودة من قبل، قال النبي ﷺ:«يا معشر المهاجرين خمس إن ابتليتم بهن ونزل فيكم أعوذ بالله أن تدركوهن»، وذكر منها:«لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعملوا بها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم يكن مضت في أسلافهم»[(١)]، فالفاحشة وانتشارها في المجتمع الإنساني جزاؤها أمراض جديدة ما كانت في أسلافنا الذين مضوا، وهذا ما نعيشه في هذا القرن، نسأل الله السلامة والعافية. وإذا كان الإسلام قد توعد مرتكبي هذه الفواحش بالعقوبات الدنيوية والأخروية فهذا التحذير الشديد إنما هو لحماية الإنسان ووقايته من الأمراض المعدية والأوبئة الفتاكة، ثم يأتي بعد ذلك دور العلم الحديث والواقع المعاصر لتأكيد ذلك وبيان الآثار والأضرار المترتبة على ارتكاب الفواحش، ولبيان ذلك أقول: إن ممارسة الزنا والشذوذ جريمة من أشنع الجرائم وأقبحها، تدل على انحراف الفطرة وفساد في العقل وشذوذ في النفس، وقد حارب الإسلام مرتكبيه وعاقب فاعليه حماية للأفراد وصيانة للمجتمع من أدران الرذيلة، وأثبت العلم الحديث أن الانحراف الجنسي بشقيه (الزنا، والشذوذ) يسبب أمراضا عدة، منها: السيلان[(٢)]، والزهري[(٣)]،

---

(١)أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٨٢، ح: ٨٦٢٣) عن عبد الله بن عمر، كتاب: الفتن والملاحم، قال الحاكم:«هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

(٢) السيلان: هو مرض تناسلي من أكثر الأمراض البكتيرية المعدية انتشارا في الوقت الحاضر، ينتقل هذا المرض من إنسان لآخر بالاتصال الجنسي، وتسببه جرثومة صغيرة جدا لا ترى بالعين المجردة تسمى "نايسيريا قنوريا"، وهي بيضوية الشكل توجد عادة بشكل مزدوج، وتُرَى تحت المجهر بكثرة داخل كريات الدم البيضاء التي تكون في السائل الصديدي الذي ينزل من قضيب الرجل أو فرج المرأة. ينظر: الأمراض الجنسية عقوبة إلهية (ص:٧٢)، والطب الوقائي في السنة النبوية (ص:١٩٦)

(٣)الزهري: هو مرض تناسلي معد ومزمن يصيب جميع أجزاء الجسم، تسببه جرثومة لولبية الشكل تسمى "تريبونيما باليديم"، لا تعيش بشكل طبيعي إلا في الإنسان، وتنتقل غالبا من مريض إلى آخر أثناء الاتصال الجنسي، حيث تدخل الجسم بأعداد كبيرة عن طريق قضيب الرجل أو فرج المرأة أو غيرهما. ينظر: الأمراض الجنسية عقوبة إلهية (ص:٥٣، ٥٤)

وداء نقص المناعة (الإيدز)[١]، وغيرها مما لا يعلمه إلا الله تعالى.

أضف إلى ما سبق أن هناك ما يقرب من سبعين مرضا وعارضا مرضيا تنقلها العلاقات الجنسية غير الشرعية والشاذة، بدءا بمختلف الالتهابات الحادة والمزمنة، وانتهاء بمختلف أنواع السرطان، مرورا بالتشوهات الخِلْقية المكتسبة في القوى العقلية والجسدية[٢].

ولا شك أن هذه الأمراض تؤثر في بنية المجتمع من جهتين، فهي إما أن تؤدي إلى موت الشخص المصاب بهذه الأمراض الفتاكة، وإما أن تؤدي إلى إضعاف طبقة الشباب خاصة في المجتمع الذي يقر ممارسة هذه الرذائل، فتجد شبابهم ضعفاء البِنْية الجسدية لا يتحملون أعباء الحياة بشكل طبيعي، ولا يصلحون لبناء الأمم والدفاع عن الشعب الذي ينتمون إليه[٣].

من خلال ما سبق يتبين أن الإسلام قد جاء بمنهج قرآني وقائي يحفظ الأعراض، ويسعى إلى تماسك المجتمع وتحقيق سعادته واستقراره من خلال النهي عن قربان الفواحش حفظا للنفس، ومنعا لانتشار الأمراض المعدية والأوبئة الفتاكة.

ثانيا: تحريم الخبائث الضارة بالجسم من المطعومات والمشروبات.

لقد اهتم الإسلام بالإنسان وبكل ما يتعلق به ويؤثر على صحته وحياته، ويدفع عنه الأمراض ويقيه منها لينعم المسلم بالصحة والعافية، ومن هنا فقد جاءت الآيات القرآنية موضحة ما يحل من الأطعمة والأشربة وما يحرم منها، وبينت أن كل طيب حلال وكل خبيث حرام، قال تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ

(١) الإيدز: هو مرض فيروسي جنسي يدمر الجهاز المناعي تدريجيا مما يؤدي إلى إصابة المريض بالأورام والالتهابات المتعددة، ويصيب الزناة والشاذين جنسيا. ينظر: الأمراض الجنسية عقوبة إلهية (ص:١١٨)، والطب الوقائي في السنة النبوية (ص:١٩٤)

(٢) من علم الطب القرآني (ص:١٩٢).

(٣) الزنا وعواقبه وسبل الوقاية منه في ضوء القرآن الكريم (ص: ٢٥٥).

وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾[1].

ولذلك بين الله ﷻ في قرآنه أنه قد أحل لعباده الطيبات كلها فقال:﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ﴾[2]، و﴿الطيبات﴾ جمع (طيب): وهو الشيء المستَلَذ، وفسره بعضهم بـ(الحلال) أي: قل لهم أحل الله لكم الأطعمة الطيبة التي تستلذها النفوس المستقيمة وتستطيبها ولا تستقذرها، والتي لم يرد في الشرع ما يحرمها ويمنع من تناولها[3].

ومن فضل الله ورحمته أنه أباح الطيبات من الأطعمة والأشربة، وأحل تناولها دون أن يحدد أنواعا خاصة منها سعة من الله تعالى على عباده، واحتواء للاختلاف في أذواقهم، كما أن هذا التنوع يتيح للإنسان أن يحصل على العناصر الغذائية المفيدة والمتنوعة التي يحتاج إليها الجسم، ويكون في ذلك وقاية من أمراض سوء التغذية فينعم بصحة جيدة[4]، ومما يؤيد ذلك من آيات الذكر الحكيم قوله تعالى:﴿ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾[5]، قال ابن عطية:«تمتعوا بالأكل والشرب واللباس والركوب ونحو ذلك، وخص الأكل بالذكر لأنه أعظم المقصود، وأخص الانتفاعات بالإنسان»[6].

فالله تعالى أحل لعباده الطيبات في قوله:﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ﴾[7]، وأعاد ذكرها في الآية التي تليها فقال:﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ﴾[8] لبيان الامتنان ودعوة العباد إلى شكره

(١) سورة:(الأعراف)، من الآية:(١٥٧).

(٢)سورة:(المائدة)، من الآية:(٤).

(٢) تفسير القرطبي (٦/ ٦٥)، والتفسير الوسيط، د/ محمد سيد طنطاوي (٤/ ٤٦).

(٤) منهج القرآن الكريم في الأطعمة وأثره في الوقاية من الأمراض دراسة موضوعية (ص:١٠٩) بتصرف.

(٥) سورة:(المائدة)، الآية:(٨٨).

(٦)تفسير المحرر الوجيز (٢/ ٢٢٩).

(٧)سورة:(المائدة)، من الآية:(٤).

(٨) السورة السابقة، من الآية:(٥).

والإكثار من ذكره ، حيث أباح لهم ما تدعوهم الحاجة إليه، ويحصل لهم الانتفاع به من الطيبات.

قال الإمام أبو حيان:«إعادة ذكر إحلال ﴿ الطيبات ﴾ التنبيه بإتمام النعمة فيما يتعلق بالدنيا ومنها إحلال الطيبات، كما نبه بقوله:﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى ﴾[١] على إتمام النعمة في كل ما يتعلق بالدين»[٢]، فبين أنه كما أكمل الدين وأتمم النعمة في كل ما يتعلق بالدين، فكذلك أتم النعمة في كل ما يتعلق بالدنيا ومنها إحلال الطيبات[٣].

فإذا كان الله تعالى قد أحل لعباده الطيبات وأباح لهم التمتع بها دون إسراف أو تقتير، فإنه قد حرم أنواعا من الأطعمة والأشربة هي من مسببات الأمراض ووسائل نقلها، وفيما يلي بيان لما جاء في المنع من تناول بعض المأكولات والمشروبات.

أولا: الأطعمة المحرمة:

لقد بين الله تعالى في قرآنه أنواعا من الأطعمة الضارة المحرمة فقال ﷻ:﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ ﴾[٤]، وقال تعالى:﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾[٥].

ففي هاتين الآيتين ذكر الله ﷻ أنواعا من الأطعمة المحرمة لما يترتب عليها من أضرار صحية، وأجملها في بعض آياته وفصلها في آيات أخرى تأكيدا للتحريم وإزالة للشبهة، والحكمة في تحريم هذه الأطعمة واضحة أكدتها وأثبتتها الأبحاث العلمية والطبية، وإن كان اجتناب هذه الأطعمة المحرمة يعود في المقام

(١)سورة:(المائدة)، من الآية:(٣).

(٢)البحر المحيط في التفسير (٤/ ١٨٢).

(٣) تفسير مفاتيح الغيب (١١/ ٢٩٣).

(٤) سورة:(المائدة)، من الآية:(٣).

(٥) سورة:(الأنعام)، من الآية:(١٤٥).

الأول بالفائدة العظيمة على الإنسان، فائدة دينية متمثلة في رضى الله تعالى الذي أمر باجتناب ذلك، وفائدة جسدية متمثلة في تجنب الأضرار الجسدية والنفسية الناتجة عن هذه المحرمات، وإليك بيان ذلك مفصلا:

أولا: الميتة وما في حكمها:

المقصود بالميتة: ما فارقته الروح من غير ذكاة مما يُذبَح[(١)]، أو ما مات من الحيوان حتْف أنفه من غير ذكاة ولا اصطياد، ويستثنى من الميتة (السمك)، فإنه حلال سواء مات بتذكية أو غيرها، لما روي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ سئل عن ماء البحر فقال:«هو الطَّهور ماؤُه، الحِلُّ ميْتَتُه»[(٢)]، وهكذا (الجراد) لما روي عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال:«أُحِلت لنا ميتتان ودمان، فأما الميتتان: فالحوت والجراد، وأما الدمان: فالكبد والطِّحال»[(٣)].

والنهي عن الأكل من الميتة فيه مراعاة للنفوس والفطر السليمة، فقد جُبِلَت النفوس على استقذارها والأَنَفَة من أكلها، كما أن أكلها يسبب أضرارا صحية، ولذلك بين الفخر الرازي الحكمة من تحريمها فقال :«واعلم أن تحريم الميتة موافق لما في العقول؛ لأن الدم جوهر لطيف جدا، فإذا مات الحيوان حتْف أنفه احتبس الدم في عروقه وتعفن وفسد وحصل من أكله مضار عظيمة»[(٤)]، وقال ابن كثير مبينا الحكمة من النهي عن الأكل من الميتة:«وما ذاك إلا لما فيها من المضرة لما فيها من الدم المحتَقِن ، فهي ضارة للدين وللبدن، فلهذا حرمها الله ﷻ»[(٥)].

وأثبت العلم الحديث الحكمة العلمية من تحريم الميتة وأكد أنه بموت الحيوان يتهدم نظام الحياة

---

(١) التفسير البسيط (٣/ ٤٩٧)، وتفسير القرطبي (٢/ ٢١٧).

(٢)أخرجه الترمذي في سننه (١/ ١٠١، ح: ٦٩)، أبواب: الطهارة، باب: ما جاء في ماء البحر أنه طهور، قال الترمذي:«هذا حديث حسن صحيح».

(٣)أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٩٧، ح: ٥٧٢٣)، قال المحقق شعيب الأرنؤوط:«حسن، وهذا إسناد ضعيف لضعف عبد الرحمن بن زيد»، وينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٤).

(٤) تفسير مفاتيح الغيب (١١/ ٢٨٣).

(٥)تفسير القرآن العظيم (٣/ ١٤).

كاملا، فتتحول جثته إلى مستودع للجراثيم والعفونات، حيث تسري تلك الجراثيم في الدم وتتغذى عليه مفرزة سموما متولدة بكميات كبيرة تضر بالإنسان(١)، وإضافة وجود السموم في الميتة يجعل لحمها أكثر ليونة، وتنطلق منه رائحة كريهة مما يثير في النفس الاشمئزاز، ويجعل من الصعب على كل ذي ذوق سليم أن يتناوله إلا إذا دفعته الضرورة لذلك(٢)، وكثيرا ما يكون موت الحيوان بسبب أكله بعض الأعشاب السامة أو المواد الكيميائية القاتلة، وفي هذه الحالة فإن أثرها يبقى في لحمه ويصيب من يأكله(٣).

ويأخذ حكم الميتة في التحريم: المنخنقة(٤)، والموقوذة(٥)، والمتردية(٦)، والنطيحة(٧)، وما أكل السَّبُعُ مما لم يُذَكَّ الذكاة الشرعية(٨).

---

(١) الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن والسنة (ص: ٥٣٣، ٥٣٤) بتصرف يسير.

(٢) مع الطب في القرآن الكريم (ص:١٣٤) بتصرف يسير.

(٣) الطب الوقائي في الإسلام (ص:٤٢).

(٤)المنخنقة: هي التي تموت خنقا إما قصدا بأن يخنقها آدمي، وإما اتفاقا بأن يعرض لها من ذاتها ما يخنقها، وهي من جنس الميتة؛ لأنها لما ماتت وما سال دمها كانت كالميت حتْف أنفه. مفاتيح الغيب (١١/ ٢٨٣)، والتفسير الوسيط، د/ محمد سيد طنطاوي (٤/ ٣٦) وحكمة تحريمها: أن الموت بانحباس النفس يُفسِد الدم باحتباس الحوامض الفحمية الكائنة فيه، فتصير أجزاء اللحم المشتمل على الدم مضرة لآكله، كما أن الكائن الحي إذا اختنق أي: مُنِع دخول الأكسجين إلى رئتيه، فإنه تتراكم في الجسم مادة ثاني أكسيد الكربون السامة وجميع الإفرازات السامة التي تخرج عادة مع النَّفَس في عملية الزفير، وهذه المواد إذا احتُبِسَت تُحدِث التسمم في كل أنسجة الجسم ثم الوفاة. التحرير والتنوير (٦/ ٩١)، والطب الوقائي في الإسلام (ص:٤٣)

(٥) الموقوذة: هي التي ضُرِبَت إلى أن ماتت، يقال:(وقَذَهَا وأَوْقَذَهَا) إذا ضربها إلى أن ماتت، وهي أيضا في معنى الميتة وفي معنى المنخنقة، فإنها ماتت ولم يَسِلْ دمها، قال قتادة:«كان أهل الجاهلية يفعلون ذلك ويأكلونه». مفاتيح الغيب (١١/ ٢٨٣)

(٦)المتردية: هي التي تسقط من جبل أو موضع مشرف فتموت، وهذا أيضا من الميتة؛ لأنها ماتت وما سال منها الدم، يقال:(تردَّى) إذا سقط. زاد المسير (١/ ٥١٠)، ومفاتيح الغيب (١١/ ٢٨٣)

(٧)النطيحة: هي المنطوحة إلى أن ماتت، وهذا أيضا داخل في الميتة؛ لأنها ماتت من غير سيلان الدم. مفاتيح الغيب (١١/ ٢٨٤)

(٨) المراد بـ(السَّبُع): كل ذي ناب وأظفار من الحيوان كالأسد والنمر والذئب ونحوها من الحيوانات المفترسة، فحرم الله كل ما قتله السَّبُع؛ لأن أكيلة السَّبُع تموت بغير سفح الدم غالبا بل بالضرب على المقاتل. التحرير والتنوير (٦/ ٩٢)، والتفسير الوسيط، د/ محمد =

من خلال ما سبق يتبين أن حكمة الله تعالى في تحريم الميتة وما في حكمها تتمثل في منع انتقال المرض والضرر للإنسان، كما أن هناك جانبا روحانيا وأخلاقيا في التحريم يتمثل في أن الإسلام يحرم تحريما قاطعا كل أنواع العنف والقسوة في التعامل مع الحيوان، فيحرم ضربه أو خنقه أو تعذيبه، فهو دين الرحمة والرفق بالحيوان، قال النبيﷺ :«إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسِنوا القِتْلَة، وإذا ذبحتم فأحسِنوا الذَّبح، ولْيُحِدَّ أحدُكم شَفْرَتَه، فلْيُرِحْ ذبيحَتَه»[1]، كما أن في تحريم ما أكل السَّبُع تكريما للإنسان وصيانة له ورفعا لقدره أن يأكل اللحم الذي يتبقى من الحيوانات الأخرى.

ثانيا: الدم:

المراد بالدم هنا: الدم المسفوح، أي: السائل من الحيوان عند التذكية لقوله تعالى في آية أخرى:﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾[2] حملا لمطلق هذه الآية[3] على مقيَّد آية (الأنعام)[4] أي: وحرم عليكم أكل الدم[5].

والنهي عن تناول الدم المسفوح فيه أيضا مراعاة للنفوس والفطر السليمة، فقد جُبِلَت النفوس على استقذاره والأَنَفَة من تناوله، كما أنه يسبب أضرارا صحية، ولذلك بين الطاهر ابن عاشور الحكمة من تحريمه فقال:«والظاهر أن علة تحريمه القذارة؛ لأنه يكتسب رائحة كريهة عند لقائه الهواء، أو لأنه يحمل ما في جسد الحيوان من الأجزاء المضرة التي لا يحاط بمعرفتها، أو لما يحْدِثُه تعود شرب الدم

سيد طنطاوي (٤/ ٣٦)، وتجدر الإشارة هنا إلى أنه ليس المراد بما أكل السَّبُع: ما أكله وصار في جوفه؛ لأن هذا أصبح عدما لا حكم له، وإنما الحكم للباقي، ففي الآية محذوف تقديره:«وما أكل منه السَّبُع». مفاتيح الغيب (١١/ ٢٨٤)

وحكمة تحريم ما أكل السَّبُع: أن هذه الحيوانات قد تكون مصابة بمرض يظهر في فمها ولعابها وتبقى آثاره على اللحم، فتؤذي من يأكل منه وتمرضه. الطب الوقائي في الإسلام (ص:٤٣)

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه (٣/ ١٥٤٨، ح: ١٩٥٥) عن شداد بن أوس، كتاب: الصيد والذبائح وما يُؤكَل من الحيوان باب: الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة.

(٢) سورة:(الأنعام)، من الآية:(١٤٥).

(٣) هي قوله تعالى:﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ﴾ [سورة:(المائدة)، من الآية:(٣)].

(٤) المطلق: هو ما دل على الحقيقة بلا قيد، والمقيد: هو ما دل على الحقيقة بقيد. مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص: ٢٥٣)

(٥)تفسير ابن كثير (٣/ ١٤)، والتحرير والتنوير (٦/ ٨٩)، والتفسير الوسيط، د/ محمد سيد طنطاوي (٤/ ٣٤).

من الضراوة التي تعود على الخُلُق الإنساني بالفساد»[١]، وقال الشيخ المراغي مبينا حكمة تحريم الدم المسفوح:«وحكمة تحريم الدم: الضرر والاستقذار، أما الضرر فلأنه عَسِر الهضم جد العسر، ويحمل كثيرا من المواد العفنة التي تنحل من الجسم، وقد يكون فيه جراثيم بعض الأمراض المعدية»[٢].

وقد أكد العلم الحديث ذلك وأثبت العلماء أن الدم المسفوح من أخطر الأوساط لنمو شتى الجراثيم وانتشارها، ويسبب العديد من الأمراض منها أنه يؤدي إلى حدوث فشل كلوي، وقد يؤدي إلى حدوث غيبوبة كبدية[٣]، ومما يزيد من خطورة تناول الدم أنه يحمل سموما وفضلات؛ لأن من وظائفه حمل إفرازات الجسم الضارة وسمومه لطرحها إما عن طريق الكِلْية أو التعرق، وإذا كان الحيوان مريضا فإن الميكروبات تتكاثر عادة في دمه أو تستعمل الدم كوسيلة لانتقالها من عضو إلى آخر[٤].

أضف إلى ما سبق أن شرب الدم يورث ضَرَاوة[٥] في الإنسان فتغلُظ طباعه ويصير كالحيوان المفترس، وهذا مناف لمقصد الشريعة؛ لأنها جاءت لإتمام مكارم الأخلاق وإبعاد الإنسان عن التهور والهمجية، ولذلك قُيِّد في بعض الآيات بـ«المسفوح» أي: المِهرَاق؛ لأنه كثير لو تناوله الإنسان اعتاده، ولو اعتاده أورثه ضراوة، ولذا عفَّتِ الشريعة عما يبقى في العروق بعد خروج الدم المسفوح بالذبح أو النحر[٦].

ومن الجدير بالذكر أن الإسلام قد استثنى من عموم تحريم الدم (الكبد والطحال)، يدل على ذلك ما روي عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال:«أُحِلَّتْ لنا ميتتان ودمان، فأما الميتتان: فالحوت والجراد، وأما الدمان: فالكَبِد والطِّحال»[٧]، وقد سميا بذلك من قبيل التشبيه لاحتوائهما على كمية كبيرة من

(١)التحرير والتنوير (٦/ ٩٠) بتلخيص.

(٢)تفسير المراغي (٦/ ٤٧، ٤٨) بتلخيص.

(٣)مع الطب في القرآن الكريم (ص:١٣٦)، والإعجاز العلمي في الإسلام: القرآن الكريم (ص:٢٦١، ٢٦٢).

(٤) مع الطب في القرآن الكريم (ص:١٣٥)، والطب الوقائي في الإسلام (ص:٤٢، ٤٣).

(٥) ضَرَاوَة -بالفتح- أي: تعوُّد، يقال:(أضْرَاه صاحبه): عوَّده. مختار الصحاح (ص: ١٨٤)، مادة:(ضَرَا)

(٦)التحرير والتنوير (٢/ ١١٨).

(٧)سبق تخريجه.

الدم، والواقع أنهما نسيجان عاديان لهما وظائفهما الخاصة، ولم يثبت طبيا أي ضرر من أكلهما، بل على العكس فهما مادتان غذائيتان غنيتان بالكثير من المواد الهامة كالحديد والبروتين والفيتامين، وبذلك جاء الطب مصدقا للشرع[١].

ثالثا: لحم الخنزير:

اللحم يعم جميع أجزائه حتى الشحم[٢]، ولذا أجمعت الأمة على أن الخنزير بجميع أجزائه محرم، وإنما خص الله تعالى لحمه بالذكر؛ لأنه المقصود بالأكل، ولأن معظم الانتفاع متعلق به، وليدل على تحريم عينه ذُكِّي أو لم يُذَكّ[٣].

قال الإمام ابن حزم[٤]:«لا يحل أكل شيء من الخنزير، لا لحمه، ولا شحمه، ولا جلده، ولا عصبه، ولا غضروفه، ولا حشْوَتِه، ولا مُخِّه، ولا عظمه، ولا رأسه، ولا أطرافه، ولا لبنه، ولا شعره -الذكر والأنثى والصغير والكبير سواء- ولا يحل الانتفاع بشعره لا في خَرَز ولا في غيره»[٥].

والنهي عن تناول لحم الخنزير فيه أيضا مراعاة للنفوس والفطر السليمة؛ لأنه مستقذَر تُعَافِه الفطرة وتتضرر به الأجسام، ولذلك بين ابن عاشور الحكمة من تحريمه فقال:«وحكمة تحريم لحم الخنزير

---

(١) مع الطب في القرآن الكريم (ص:١٣٦-١٣٧)، والإعجاز الطبي في الحديث النبوي (ص:٧٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ١٦).

(٣) تفسير مفاتيح الغيب (٥/ ٢٠٠)، وتفسير القرطبي (٢/ ٢٢٢)، وتفسير النسفي (١/ ١٥١).

(٤) ابن حزم: هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام، ولد بقرطبة سنة (٣٨٤هـ)، وكان فقيها حافظا يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة، من أشهر مصنفاته:(الفصل في الملل والأهواء والنحل والمحلى، والناسخ والمنسوخ) وغير ذلك، توفي سنة (٤٥٦هـ). سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٧٣)، والأعلام (٤/ ٢٥٤)

(٤) المحلى بالآثار (٦/ ٥٥).

أنه يتناول القاذورات بإفراط، فتنشأ في لحمه دودة مما يقتاته لا تهضمها معدته، فإذا أصيب بها آكِلُه قتَلَتْه»[١].

يضاف إلى ذلك أن المتغذِّي من لحم الخنزير قد يكتسب من طباع ما يأكله، فالخنزير حينما يتغذى على القاذورات فإن ذلك يؤثر على سلوكه، وبالتالي لا يغار على حدوده، ولا يدافع عن محارمه، ويصبح كل همه أن يأكل ويشرب ويتناكح، وهذه الطباع تنتقل إلى من يتناولون لحمه لما للأغذية الخبيثة من أثر سيئ على من يتغذى بها، وقد أشار الإمام الرازي إلى ذلك بقوله:«قال أهل العلم: الغذاء يصير جزءا من جوهر المتغذِّي، فلابد أن يحصل للمتغذي أخلاق وصفات من جنس ما كان حاصلا في الغذاء، والخنزير مطبوع على حرص عظيم ورغبة شديدة في المشتَهَيَات، فحَرُم أكله على الإنسان لئلا يتكيف بتلك الكيفية»[٢].

وقد أثبت العلم الحديث أن الخنزير منفر للطبع السليم لأن غذاءه من القاذورات والنجاسات، كما أنه يصيب من يأكل منه بأمراض وبائية متعددة منها: الحويصلات الخنزيرية، والدودة الكبدية، والتهاب السحايا والمشيمة، وداء السُّل، وتليف الكبد، وعسر الهضم، وتصلب الشرايين، وغير ذلك[٣].

كما تم اكتشاف احتواء عضلة لحم الخنزير على الطور المعدي من أطوار الدودة الشريطية التي تصيب الشخص بتشنج عصبي ونوبات صرع، واضطرابات في الهضم على شكل ضعف شهية، وآلام الجوع، وإسهال أو إمساك، وانسداد معوي من جراء الكتل الهائلة من الديدان المتراصة في القناة الهضمية، كما أن الديدان حين تصل للدم فإن سمومها تُهَيِّج الخلايا العصبية للمخ، وأهم ضرر يكون بسبب استقرار يرقات الدودة في العضلات مسبِّبة آلاما شديدة، وصعوبة تنفس ومضغ وكلام، وقد تسبب الموت بسبب شلل العضلات التنفسية أو إصابة القلب[٤].

---

(١) التحرير والتنوير (٢/ ١١٩).

(٢)مفاتيح الغيب (١١/ ٢٨٣).

(٣) إعجاز القرآن والسنة في الطب الوقائي والكائنات الدقيقة (ص:٧٩ - ٨٠) بتصرف.

(٤)مع الطب في القرآن الكريم (ص:١٣٨-١٣٩)، والإعجاز العلمي في القرآن (ص: ١١٥-١١٦) بتصرف وتلخيص.

من خلال ما سبق تتجلى حكمة الله تعالى في تحريم أكل لحم الخنزير واعتباره نجسا، وهنا ندرك سر التعبير القرآني ووصفه الدقيق لحيوان الخنزير بقوله:﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ أي: قذِر خبيث تُعَافِه الطباع السليمة وضار بالأبدان[1]، فسبحان الخلاق العظيم!

رابعا: ما أُهِلَّ لغير الله:

الفعل﴿أُهِلَّ﴾ مأخوذ من (الإهلال) بمعنى: رفْع الصوت، يقال:(استهل الصبي بالبكاء): رفع صوته وصاح عند الولادة، ومنه (الإهلال بالحج): وهو رفْع الصوت بالتلبية[2].

والمراد بقوله تعالى:﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾: ما سمي عليه عند الذبح اسم غير الله، وكانوا في الجاهلية يذبحون لأصنامهم فيرفعون أصواتهم بقولهم:(باسم اللات أو باسم العزى)[3]، والمعنى: وحرم عليكم سبحانه أن تأكلوا مما ذُبِح فذُكِر عليه عند ذبحه غير اسم الله تعالى[4]؛ لأنه من أفعال الجاهلية وأهلها، قال تعالى:﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾[5].

وهذا التحريم يعد تطهيرا للعقائد من شوائب الشرك والوثنية، فلا حيوان يُذبَح إلا لله، ولا يُذكَر عليه اسم إلا اسم الله تعالى الذي سخر هذه الحيوانات بقدرته، وأودع فيها مكنون علمه وعظمته، قال تعالى:﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[6].

---

(١) التفسير الوسيط، د/ محمد سيد طنطاوي (٥/ ٢٠١).

(٢) لسان العرب (١١/ ٧٠١)، فصل الهاء، مادة (هلَّل).

(٣) مفاتيح الغيب (١١/ ٢٨٣)، والتحرير والتنوير (٦/ ٩٠ - ٩١)، وتفسير المراغي (٦/ ٤٨).

(٤)التفسير الوسيط، د/ محمد سيد طنطاوي (٤/ ٣٥).

(٥) سورة:(الأنعام)، من الآية:(١٢١).

(٦) سورة:(الأنعام)، الآيتان:(١٦٢- ١٦٣).

قال بعض العلماء:«وأما ما أُهِلَّ به لغير الله فتحريمه لحكمة مرجعها إلى صيانة الدين والتوحيد»[١].

ويضاف إلى حكمة التحريم أيضا أن ما ذُبِح لغير الله وذُكِر عليه عند الذبح اسم غير الله تعالى فإنه يعد عبادة لغير الله، فالأكل منه مشاركة لأهله ومشايعة لهم عليه، وهو مما يجب إنكاره لا إقراره[٢].

يضاف إلى ما سبق ذكره في بيان حكمة التحريم أيضا أن فريقا من كبار الباحثين وأساتذة الجامعات بسوريا قد توصلوا إلى اكتشاف علمي يبين أن هناك فرقا كبيرا بين اللحم المكبَّر عليه واللحم غير المكبَّر عليه، وقام فريق طبي يتألف من ثلاثين أستاذا في اختصاصات مختلفة بإجراء أبحاث على مدى ثلاث سنوات لدراسة الفرق بين الذبائح التي ذُكِر اسم الله عليها ومقارنتها بالذبائح التي لا يُذكَر اسم الله عليها ، وأكدت الأبحاث أهمية وضرورة ذكر اسم الله ﷻ على ذبائح الأنعام والطيور لحظة ذبحها، وكانت النتائج المفاجئة التي وصفها أعضاء الطاقم الطبي بأنها معجزات تفوق الوصف والخيال بأن نسيج اللحم المذبوح بدون تسمية وتكبير مليء بمستعمرات الجراثيم ومحتقِن بالدماء، بينما كان اللحم المسمَّى والمكبَّر عليه خاليا تماما من الجراثيم ولا يحتوي نسيجه على الدماء[٣].

من خلال ما سبق يتبين أن هذا الاكتشاف الكبير يمثل ثورة علمية حقيقية في مجال صحة الانسان وسلامته المرتبطة بصحة ما يتناوله من لحوم الأنعام، والتي ثبت بشكل قاطع أنها تزكو وتطهر من الجراثيم بالتسمية والتكبير على الذبائح عند ذبحها، قال تعالى:﴿ فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤۡمِنِينَ ﴾[٤].

ويدخل في جنس ما أُهِلَّ به لغير الله ما ذُبِحَ على النُّصُب لقوله تعالى:﴿ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ ﴾[٥] من

(١) تفسير آيات الأحكام للسايس (ص: ٥٦).

(٢) تفسير المراغي (٦/ ٤٨).

(٣) مقال علمي منشور بصفحة الجمعية الدولية للمترجمين واللغويين العرب على الشبكة العنكبوتية.

(٤) سورة:(الأنعام)، الآية:(١١٨).

(٥)سورة:(المائدة)، من الآية:(٣).

حيث إنه يُذبَح بقصد العبادة لغير الله تعالى، والنُّصُب -بضمتين-: مفرد مراد به الجنس، وقيل: جمع واحده (نِصَاب)، وهي عبارة عن حجارة كان الجاهليون ينصبونها حول الكعبة ويذبحون عليها قرابينهم، ويعتبرون الذبح أكثر قربة إلى معبوداتهم متى تم على هذه النُّصُب، والنصب ليس بأصنام، فإن الأصنام أحجار مصورة منقوشة، والنصب حجارة غير منقوشة، والمعنى: وحرم عليكم سبحانه أن تأكلوا مما ذُبِحَ على النصب لأنه لم يُتقرب به إلى الله وإنما تُقُرِّب به إلى الأصنام، وما تُقُرِّب به إلى غير الله فهو فسق ورجس يجب البعد عنه(١).

قال الطاهر ابن عاشور:«والأصح أن النصب حجارة غير مقصود منها أنها تمثال للآلهة، بل هي موضوعة لأن تُذبَح عليها القرابين والنسائك التي يُتَقَرَّب بها للآلهة وللجن»(٢).

من خلال ما سبق يتبين لنا أسبقية القرآن الكريم في تحريم الأطعمة التي تحتوي على مسبِّبات الأمراض(٣)، وأن تحريم المولى ﷻ لهذه الأطعمة لم يأت عبثا وإنما جاء ليحقق ضرورة حفظ النفس البشرية التي أمر الله تعالى بحفظها، كما يدل دلالة واضحة على أن القرآن الكريم المنزل على قلب النبي ﷺ منذ أربعة عشر قرنا من الزمان هو المعجزة الخالدة الذي لا يزال العلم الحديث يكشف لنا عن كثير من أسراره وإعجازه على مر الأيام والعصور.

وبهذا ندرك أهمية التربية القرآنية الوقائية في صيانة المجتمع المسلم من انتشار الأوبئة والأمراض، ونوقن بذلك أن الحق ﷻ ما حرم على البشر شيئا إلا لضرر كبير علموه أو جهلوه.

---

(١) مفاتيح الغيب (١١/ ٢٨٥)، والتفسير الوسيط، د/ محمد سيد طنطاوي (٤/ ٣٧) بتلخيص.

(٢)التحرير والتنوير (٦/ ٩٤).

(٣) إذا كان الإسلام قد حرم مجموعة من الأطعمة لأضرار تسببها إلا أنه قد أباح للمسلم أن يتناول أي نوع منها إذا اضطر إليها ولم يجد غيرها، فيباح له أن يأكل منها ما يبقيه على قيد الحياة، قال تعالى:﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [سورة:(المائدة)، من الآية:(٣)] قال الإمام القرطبي في تفسيره (٦/ ٦٤):«قوله تعالى:﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ﴾يعني: مَن دعته ضرورة إلى أكل الميتة وسائر المحرمات في هذه الآية، والمخمصة: الجوع وخلاء البطن من الطعام».

ثانيا: الأشربة المحرمة:

كما حرم الله ﷻ الخبائث من الأطعمة حرم أيضا الخبائث من الأشربة، ومن ذلك تحريم تناول الخمر والمسكرات، قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾[١].

ففي هاتين الآيتين تحذير شديد من الاقتراب من الخمر والميسر والأنصاب والأزلام وبيان أنها رجس من عمل الشيطان، ومما يزيد من قبحها وخطرها أن الله تعالى وصف هذه الأقسام الأربعة بوصفين:

الأول: قوله:﴿ رِجْسٌ ﴾ أي: قذِر تأباه النفوس الكريمة والعقول السليمة لقذارته ونجاسته[٢].

الثاني: قوله:﴿ مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾، وهذا أيضا مكمل لكونه رجسا؛ لأن الشيطان نجَس خبيث لأنه كافر، والكافر نجس لقوله:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾[٣]، والخبيث لا يدعو إلا إلى الخبيث، وأيضا كل ما أضيف إلى الشيطان، فالمراد من تلك الإضافة المبالغة في كمال قُبْحِه[٤].

ومما يزيد في التحذير من اقتراف هذه الرذائل التعبير في الآية الكريمة بقوله:﴿ فَٱجْتَنِبُوهُ ﴾، حيث سيق للمبالغة في الأمر بترك هذه الرذائل، فكأنه سبحانه يقول: لا آمركم فقط بترك الرذائل بل آمركم أيضا بأن تكونوا أنتم في جانب وهذه المنكرات في جانب آخر، فالأمر هنا منصب على الترك وعلى كل ما يؤدي

---

(١) سورة:(المائدة)، الآيتان:(٩٠ - ٩١).

(٢)التفسير الوسيط، د/ محمد سيد طنطاوي (٤/ ٢٧٦).

قال الفخر الرازي:«الرِّجْس في اللغة: كل ما استُقذِر من عمل، يقال:(رَجُسَ الرجلُ رِجْسًا) إذا عمِل عملا قبيحا، وأصله من الرَّجْس -بفتح الراء- وهو شدة الصوت، يقال:(سحاب رجَّاس) إذا كان شديد الصوت بالرعد، فكأن الرِّجْس هو العمل الذي يكون قويَّ الدرجة كاملَ الرتبة في القُبح». مفاتيح الغيب (١٢/ ٤٢٣)

(٣) سورة:(التوبة)، من الآية:(٢٨).

(٤) مفاتيح الغيب (١٢/ ٤٢٣) بتلخيص.

إلى اقتراف هذه المنكرات كمخالطة المرتكبين لها، وغشيان مجالسها، إلخ[١].

قال الإمام القرطبي:«قوله:﴿ فَٱجْتَنِبُوهُ ﴾ يقتضي الاجتناب المطلق الذي لا يُنتفَع معه بشيء بوجه من الوجوه، لا بشرب ولا بيع ولا تخليل ولا مداواة ولا غير ذلك»[٢].

فالآيتان الكريمتان ترسمان لنا المنهج التربوي الوقائي في تحريم الخمر، وبيان أنها داعية لأمهات المفاسد الدينية والدنيوية، ذلك لأن شارب الخمر إذا ما استولت الخمر على عقله أزالت رشده وأفقدته وعيه، وتجعله قد يسيء إلى من أحسن إليه، ويعتدي على صديقه وجليسه، وذلك يورث أشد ألوان العداوة والبغضاء بين الناس.

قال الإمام الرازي مبينا المفاسد الدينية والدنيوية المترتبة على تعاطي الخمر والمسكرات: واعلم أنه تعالى لما أمر باجتناب هذه الأشياء ذكر فيها نوعين من المفسدة:

فالأول: ما يتعلق بالدنيا، وهو قوله:﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ﴾، فالظاهر فيمن يشرب الخمر أنه يشربها مع جماعة، ويكون غرضه من ذلك الشرب أن يستأنس برفقائه ويفرح بمحادثتهم ومكالمتهم، فكان غرضه من ذلك الاجتماع تأكيد الألفة والمحبة، إلا أن ذلك في الأغلب ينقلب إلى الضد لأن الخمر يزيل العقل، وإذا زال العقل استولت الشهوة والغضب من غير مدافعة العقل، وعند استيلائهما تحصل المنازعة بين أولئك الأصحاب، وتلك المنازعة ربما أدت إلى الضرب والقتل والمشافهة بالفحش، وذلك يورث أشد العداوة والبغضاء، فالشيطان يسول أن الاجتماع على الشرب يوجب تأكيد الألفة والمحبة، وبالآخرة انقلب الأمر وحصلت نهاية العداوة والبغضاء.

الثاني: ما يتعلق بالدين، وهو قوله:﴿ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾، أما أن شرب الخمر يمنع عن ذكر الله فظاهر، لأن شرب الخمور يورث الطَّرَب واللذة الجسمانية، والنفس إذا استغرقت في اللذات

(١)التفسير الوسيط، د/ محمد سيد طنطاوي (٤/ ٢٧٧).

(٢)الجامع لأحكام القرآن (٦/ ٢٨٩).

الجسمانية غفلت عن ذكر الله تعالى[١].

ولذلك نرى هاتين الآيتين قد ذكرتا أنواعا من التأكيدات وألوانا من التهديدات التي تدعو إلى اجتناب الخمر اجتنابا تاما وتركها تركا لا عودة بعده إليها، وقد وضح الإمام الرازي هذا المعنى بقوله: واعلم أن هذه الآية دالة على تحريم شرب الخمر من وجوه:

أحدها: تصدير الجملة بـ﴿ إِنَّمَا ﴾، وذلك لأن هذه الكلمة للحصر، فكأنه تعالى قال: لا رجس ولا شيء من عمل الشيطان إلا هذه الأربعة.

وثانيها: أنه تعالى قرن الخمر والميسر بعبادة الأوثان.

وثالثها: أنه تعالى أمر بالاجتناب، وظاهر الأمر للوجوب.

ورابعها: أنه جعل الاجتناب من الفلاح، وإذا كان الاجتناب فلاحا كان الارتكاب خيبة.

وخامسها: أنه شرح أنواع المفاسد المتولدة منها في الدنيا والدين، وهي وقوع التعادي والتباغض بين الخلق، وحصول الإعراض عن ذكر الله تعالى وعن الصلاة.

وسادسها: قوله:﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾، وهو من أبلغ ما يُنتَهى به، كأنه قيل: قد تُلِيَ عليكم ما فيها من أنواع المفاسد والقبائح، فهل أنتم منتهون مع هذه الصوارف أم أنتم على ما كنتم عليه حين لم تُوعَظوا بهذه المواعظ؟

وسابعها: أنه تعالى قال بعد ذلك:﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْ ﴾، فظاهره أن المراد: وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فيما تقدم ذكره من أمرهما بالاجتناب عن الخمر والميسر، وقوله:﴿ وَٱحۡذَرُواْ ﴾ أي: احذروا عن مخالفتهما في هذه التكاليف.

وثامنها: قوله:﴿ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾، وهذا تهديد عظيم ووعيد شديد في حق من خالف في هذا التكليف وأعرض فيه عن حكم الله وبيانه، يعني: أنكم إن توليتم فالحجة قد قامت عليكم، والرسول قد خرج عن عهدة التبليغ والإعذار والإنذار، فأما ما وراء ذلك من عقاب من خالف

(١) مفاتيح الغيب (١٢/ ٤٢٤- ٤٢٥) بتصرف وتلخيص.

هذا التكليف وأعرض عنه فذاك إلى الله تعالى، ولا شك أنه تهديد شديد، فصار كل واحد من هذه الوجوه الثمانية دليلا قاهرا وبرهانا باهرا في تحريم الخمر[١].

يضاف إلى ما سبق ذكره في بيان المفاسد المترتبة على تعاطي الخمر والمسكرات ما أثبته العلم الحديث من أن الخمر والمسكرات داعية إلى فتح أبواب الأمراض على الإنسان، فهي فتح لباب مرض القلب والتأثير على أعصابه، مما يؤدي إلى سرعة دقاته، وبالتالي إلى ضعفه نتيجة إنهاك قوته بسبب اضطراره إلى زيادة العمل، كما أنها تؤثر في الكليتين، فمرور الكحول منهما مع الدم يُحدِث تهيجا والتهابا، وتوالي هذا التهيج والالتهاب يؤدي إلى إتلاف نسيج الكليتين، كما أنها تضعف قوة المقاومة والمناعة في الجسم[٢].

ولا تقف الخمر والمسكرات عند هذا الحد في جلب الأمراض لمتعاطيها بل إنه يتجاوزها، فقد ثبت أنها سبب في الإصابة بأنواع عديدة من السرطان، ففي تقرير لمنظمة الصحة العالمية نُشِر عام (١٩٨١م) عن الوقاية من الأمراض ومكافحتها ثبتت العلاقة بين تعاطي الكحوليات والسرطانات التي تصيب الجهازين الهضمي والتنفسي، كما أنها سبب لفقد الوعي، الأمر الذي يجعل مدمني الخمر لا يشعرون بما حولهم، ويعيشون في عزلة تامة عن المجتمع، فيصابون حينئذ بالكآبة والأمراض النفسية المختلفة، واضطراب السلوك وعدم الانتباه لما يفعله أو يصدر عنه أو عن الآخرين، وغير ذلك من الأمراض[٣].

هذه بعض أضرار تعاطي الخمر والمسكرات التي عُلِمَت بالدراسات والبحوث العلمية، وهذا مصداق لقوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾[٤]، ولذا قرر النبي ﷺ أن الضرر في الخمر قد بلغ النهاية، فلا يُلغَى هذا الضرر الكبير لمنفعة

(١)مفاتيح الغيب (١٢/ ٤٢٥ - ٤٢٦) بتلخيص.

(٢)الإسلام والوقاية من الأمراض (ص:٦٨) بتصرف.

(٣)القرآن الكريم دليلك إلى الصحة (ص:٩١، ٩٢) بتصرف، وبحث عن الإعجاز الطبي في القرآن الكريم (ص:٧) وما بعدها.

(٤) سورة:(البقرة)، من الآية:(٢١٩).

قليلة تُرجَى منه، فعن وائل الحضرمي[١] أن طارق بن سويد الجعفي[٢] سأل النبي ﷺ عن الخمر، فنهاه -أو كره- أن يصنعها، فقال: إنما أصنعُها للدواء، فقال:«إنه ليس بدواء، ولكنه داء»[٣].

وبهذا ندرك الحكمة العظمى من تحريم الله للخمر وغيرها من المسكرات للحفاظ على صحة الفرد والمجتمع، والوقاية من الأوبئة والأمراض والآفات التي تدمر الإنسان والحياة.

(١)وائل الحضرمي: هو وائل بن حُجْر -بضم المهملة وسكون الجيم- بن ربيعة بن وائل أبو هنيدة الحضرمي، ويقال: ابن حُجْر بن سعد بن مسروق بن وائل بن النعمان بن ربيعة بن الحارث الحضرمي، نزل الكوفة، وروى عن النبي ﷺ، ويقال: إنه بَشَّر به رسول الله ﷺ أصحابه قبل قدومه، مات في خلافة معاوية في حدود الخمسين من الهجرة. الوافي بالوفيات (٢٧/ ٢٥٠)، والإصابة (٦/ ٤٦٦)

(٢) طارق بن سويد الجعفي: هو طارق بن سويد الحضرمي، وقيل: سويد بن طارق، روى عنه وائل بن حُجْر الحضرمي، وابنه علقمة بن وائل. أسد الغابة (٣/ ٦٧)

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٣/ ١٥٧٣، ح: ١٩٨٤)، كتاب: الأشربة،باب: تحريم التداوي بالخمر.

المبحث الرابع

قواعد قرآنية وقائية

من مظاهر عظمة الإسلام ومفاخره اهتمامه بصحة الإنسان وجعْلها من أهم أولوياته، ولذلك أسس القرآن الكريم قواعد الطب الوقائي وجعلها جزءا من تعاليمه وعقيدته، وظهرت هذه القواعد واضحة في أحاديث النبي ﷺ وتوجيهاته، وتتمثل هذه القواعد في مطلبين:

المطلب الأول: الجانب العقدي وأثره في التعامل مع الأوبئة والأمراض.

المطلب الثاني: الجانب الإيماني وأثره في التعامل مع الأوبئة والأمراض.

المطلب الأول: الجانب العقدي وأثره في التعامل مع الأوبئة والأمراض.

ينبغي للعبد المؤمن عند حدوث المصائب والأوبئة والأمراض أن يكون له موقف شرعي يتحلى به، وأن لا تتلاعب به العقول والأهواء، بل عليه أن يفزع إلى خالقه ومولاه، راجيا في ذلك رحمة ربه ساعيا في نيل رضاه، ولا يتم ذلك إلا بالتمسك بعدة توجيهات وجوانب عقدية، من أهمها:

١) الإيمان بالقضاء والقدر:

الإيمان بالله تعالى والتعلق به هو الضمان الوحيد لراحة القلب واطمئنان الخاطر عندما تموج المحن، وتنهمر الأحداث، وتدلهم الخطوب الجسام، ومن أركان الإيمان التي ينبغي على المؤمن اعتقادها: «الإيمان بالقضاء والقدر»، يدل على ذلك حديث سيدنا جبريل عليه السلام عندما سأل النبي ﷺ عن الإيمان فقال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»[(١)].

قال ابن قدامة المقدسي[(٢)]: من صفات الله تعالى أنه الفعال لما يريد، لا يكون شيء إلا بإرادته، ولا

(١)أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٣٧، ح: ٨) عن عبد الله بن عمر، كتاب: الإيمان، باب: معرفة الإيمان والإسلام والقَدَر.

(٢) ابن قدامة المقدسي: هو أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، فقيه من أكابر الحنابلة، ولد سنة (٥٤١هـ)، له تصانيف منها:(المغني، وروضة الناظر في أصول الفقه، ولمعة الاعتقاد، والبرهان في مسائل القرآن) وغيرها، توفي سنة (٦٢٠هـ). مختصر طبقات الحنابلة (ص:٥٢)، والأعلام (٤/ ٦٧)

يخرج شيء عن مشيئته، وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تدبيره، ولا محيد عن القدر المقدور، ولا يتجاوز ما خُطَّ في اللوح المسطور، خلق الخلق وأفعالهم، وقدَّر أرزاقهم وآجالهم، قال الله تعالى:﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾[١]، قال النووي:«اعلم أن مذهب أهل الحق إثبات القَدَر، ومعناه: أن الله تبارك وتعالى قدَّر الأشياء في القِدَم، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده ﷻ وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدَّرها ﷻ»[٢].

فواجب على العبد المؤمن أن يعلم يقينا أن كل أموره مقدرة من عند الله وحده منذ الأزل خيرها وشرها وحلوها ومرها، وأن ما قدَّره الله في الأزل لابد من وقوعه، قال تعالى:﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾[٣] أي: وكان أمره الذي يقدره كائنا لا محالة، وواقعا لا محيد عنه ولا مَعدَل، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن[٤].

فإذا قوي لدى المؤمن جانب الإيمان بالقضاء والقدر فإنه يستطيع أن يواجه المصائب والأوبئة والأمراض التي لا تخرج عن قضاء الله وقدره فيسلِّم بها تسليما، قال تعالى:﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾[٥] أي: ما أصابكم أو ما أصاب أحدا مصيبة، هذه المصيبة كائنة في الأرض -كالقحط والزلازل- أو في أنفسكم -كالأسقام والأوجاع- إلا وهذه المصائب مسجلة في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وهذا التسجيل كائن من قبل أن نخلق هذه الأنفس وهذه المصائب[٦]، قال عبد الله بن عمرو: سمعت رسول الله ﷺ يقول:«كتب الله

(١) سورة:(القمر)، الآية:(٤٩)، وينظر: لمعة الاعتقاد (ص: ٢٣) بتلخيص.

(٢) شرح النووي على مسلم (١/ ١٥٤).

(٣) سورة:(الأحزاب)، من الآية:(٣٨).

(٤)تفسير القرآن العظيم (٦/ ٤٢٧).

(٥) سورة:(الحديد)، من الآية:(٢٢).

(٦)التفسير الوسيط، د/ محمد سيد طنطاوي (١٤/ ٢٢٣) بتلخيص.

مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء»[١].

٢) التوكل على الله :

الإيمان بالله تعالى يوجب التوكل على الله والاعتماد عليه لقوله ﷻ:﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[٢]، قال سعيد بن جبير:«التوكل على الله ﷻ جماع الإيمان»[٣].

وحقيقة التوكل: صدق اعتماد القلب على الله ﷻ في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها، وكِلَةُ الأمور كلها إليه، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه[٤].

والتوكل على الله تعالى مطلوب في كل شؤون الحياة، وفي حال الابتلاءات والجوائح[٥] كجائحة كورونا وغيرها يكون آكد، إذ ينبغي للإنسان أن يأخذ بكل الإجراءات الاحترازية من تباعد اجتماعي، وتغطية الفم والأنف، وغسل الأيدي باستمرار، ثم يتوكل على الله تعالى، وهذا هو التوكل الصحيح.

فينبغي للعبد المؤمن عند حدوث المصائب والأوبئة والأمراض والنكبات أن يأخذ بالأسباب ثم يتوكل على رب العالمين الذي بيده مقاليد الأمور، قال ابن رجب[٦]:«واعلم أن تحقيق التوكل لا ينافي السعي

---

(١)أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٤٤، ح: ٢٦٥٣)، كتاب القَدَر، باب: حِجَاج آدم وموسى عليهما السلام.

(٢) سورة:(المائدة)، من الآية:(٢٣).

(٣)شعب الإيمان (٢/ ٤٧٤)، التوكل بالله والتسليم لأمره تعالى في كل شيء.

(٤) جامع العلوم والحكم (٢/ ٤٩٧).

(٥) الجائحة: الشدة والنازلة العظيمة التي تجتاح المال ونحوه من قحط أو آفة أو فتنة ونحوها، وقيل: كل ما أذهب الثمر أو بعضه من آفة ونحوها بغير جناية آدمي. لسان العرب (٢/ ٤٣١)، مادة (جَوَحَ)، وبحوث ودراسات في اللهجات العربية (٤٠/ ٢) وقد صنفت منظمة الصحة العالمية تفشي فيروس كورونا بوصفه وباء عالميا "جائحة"؛ وذلك لتفشي العدوى واتساع نطاقها في سائر الدول.

(٦) ابن رجب: هو الإمام الحافظ المحدث الفقيه الواعظ أبو الفرج زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السَّلامي البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي، ولد ببغداد سنة (٧٠٦هـ)، من كتبه:(شرح جامع الترمذي، وجامع العلوم والحكم في =

في الأسباب التي قدر الله سبحانه المقدورات بها، وجرت سنته في خلقه بذلك، فإن الله تعالى أمر بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل، فالسعي في الأسباب بالجوارح طاعة له، والتوكل بالقلب عليه إيمان به، كما قال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ ﴾»[1].

ولذا أمر الله عباده بالأخذ بالأسباب والبعد عن موارد التهلكة حماية للنفس وحفظا لها فقال:﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ ﴾[2][3]، قال الشاطبي: غير أن المؤذيات والمؤلِّمات خلقها الله تعالى ابتلاء للعباد وتمحيصا، وسلطها عليهم كيف شاء ولما شاء:﴿ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴾[4]، وفُهِم من مجموع الشريعة الإذن في دفعها على الإطلاق رفعا للمشقة اللاحقة، ومن ذلك الإذن في دفع ألم الجوع والعطش والحر والبرد، وفي التداوي عند وقوع الأمراض، وفي التوقي من كل مؤذ آدميا كان أو غيره، والتحرز من المتوقَّعات حتى يقدِّم العُدة لها، وهكذا سائر ما يقوم به عيشه في هذه الدار من درء المفاسد وجلب المصالح[5].

الحديث المعروف بـ«شرح الأربعين»، ولطائف المعارف) وغيرها، توفي سنة (٧٩٥هـ). ذيل طبقات الحفاظ للسيوطي (ص: ٢٤٣)، والأعلام (٣/ ٢٩٥)

(١)سورة:(النساء)، من الآية:(٧١)، وينظر: جامع العلوم والحكم (٢/ ٤٩٨).

(٢) سورة:(البقرة)، من الآية:(١٩٥).

(٣) هذه الآية وإن نزلت في الإنفاق في سبيل الله إلا أنها عامة، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، يدل على ذلك ورود الفعل﴿تُلۡقُواْ﴾في سياق النهي الذي يقتضي العموم. فتح الباري (٨/ ١٨٥)، والتحبير شرح التحرير (٦/ ٢٧٢٧)

قال ابن عاشور:«وقوله تعالى:﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾ عطف غرض على غرض، عقَّب الأمر بالإنفاق في سبيل الله بالنهي عن الأعمال التي لها عواقب ضارة إبلاغا للنصيحة والإرشاد لئلا يدفع بهم يقينهم بتأييد الله إياهم إلى التفريط في وسائل الحذر من غلبة العدو، فالنهي عن الإلقاء بالنفوس إلى التهلكة يجمع معنى الأمر بالإنفاق وغيره من تصاريف الحرب وحفظ النفوس».

التحرير والتنوير (٢/ ٢١٣)

(٤) سورة:(الأنبياء)، الآية:(٢٣).

(٥) الموافقات (٢/ ٢٦٠ - ٢٦١) بتلخيص

٣) الاستعانة بالله وحده:

من أهم المهمات وأوجب الواجبات التي يحصل بها المطلوب ويندفع بها المكروه «الاستعانة بالله»، فالاستعانة بالله تعالى: هي طلب العون من الله ﷻ وتفويض الأمر إليه وحده، فالإنسان محتاج إلى الله تعالى في كل حال ولكل شأن، قال ابن رجب:«وأما الاستعانة بالله ﷻ دون غيره من الخلق فلأن العبد عاجز عن الاستقلال بجلب مصالحه ودفع مضاره، ولا معين له على مصالح دينه ودنياه إلا الله ﷻ، فمن أعانه الله فهو المعان، ومن خذله فهو المخذول، وهذا تحقيق معنى قول:«لا حول ولا قوة إلا بالله»، فإن المعنى: لا تحول للعبد من حال إلى حال ولا قوة له على ذلك إلا بالله، فالعبد محتاج إلى الاستعانة بالله في فعل المأمورات وترك المحظورات، والصبر على المقدورات كلها في الدنيا، وعند الموت وبعده من أهوال البرزخ ويوم القيامة، ولا يقدر على الإعانة على ذلك إلا الله ﷻ، فمن حقق الاستعانة عليه في ذلك كله أعانه الله، وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال:«احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز»[(١)]، ومن ترك الاستعانة بالله واستعان بغيره وكَلَه الله إلى من استعان به فصار مخذولا»[(٢)].

فينبغي للعبد المؤمن إذا نزلت به المصائب والأوبئة والأمراض أن يصبر، وأن يطلب من ربه ﷻ العون عند خروجه إلى عمله أو لقضاء حوائجه، وأن يستعين بالله وحده ليجبر مصيبته إذا تعرض للوباء أو فقد عزيزا عليه بسبب الوباء، قال تعالى:﴿ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْ﴾[(٣)] أي: استعينوا بالله في كل أموركم واصبروا على البلاء[(٤)]، قال النبي ﷺ لابن عباس:«وإذا استعنتَ فاستعِن بالله»[(٥)]، فمن كانت معية الله معه تحمَّل الأذى وصبر عليه لينال الثواب العظيم والأجر الكبير.

---

(١)أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٥٢، ح: ٢٦٦٤) عن أبي هريرة، كتاب: القَدَر، باب: في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله.

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ٤٨١- ٤٨٢) بتلخيص.

(٣) سورة:(الأعراف)، من الآية:(١٢٨).

(٤) التفسير الوسيط، د/ محمد سيد طنطاوي (٥/ ٣٥٤).

(٥) سنن الترمذي (٤/ ٦٦٧، ح: ٢٥١٦)، قال الترمذي:«هذا حديث حسن صحيح».

٤) الدعاء والانكسار والتذلل لله تعالى برفع الوباء:

من فضل الله ورحمته أن شرع للمسلمين الدعاء لرفع الوباء والبلاء، ومن حكمته ﷻ أن جعل في هذا الوباء تنبيها للغافلين ليستخرج منهم عبادة الدعاء والتذلل والافتقار والخضوع لله ﷻ برفع الوباء والبلاء، فكل ما يصيب الإنسان من محن الدنيا ومصائبها وأمراضها وجميع بلائها لا ينجيه من شيء منه إلا فراره إلى الله ﷻ، قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾[١].

قال الإمام الطبري:«لقد أرسلنا يا محمد ﴿إِلَىٰٓ أُمَمٍ ﴾يعني: إلى جماعات وقرون من قبلك ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ ﴾ أي: فأمرناهم ونهيناهم فكذبوا رسلنا وخالفوا أمرنا ونهينا فامتحناهم ﴿بِٱلْبَأْسَآءِ ﴾ وهي شدة الفقر والضيق في المعيشة ﴿وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ وهي الأسقام والعلل العارضة في الأجسام﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ أي: فعلنا ذلك بهم ليتضرعوا إليَّ ويُخلِصوا لي العبادة، ويُفرِدوا رغبتهم إليَّ دون غيري بالتذلل منهم لي بالطاعة والاستكانة منهم إليَّ بالإنابة»[٢].

ولذلك من هدي النبي ﷺ وسنته القنوت في الصلاة عند النوازل العارضة التي تحل بعموم المسلمين، كانتشار الأوبئة والأمراض وحدوث المجاعات، قال الإمام النووي:«الصحيح المشهور أنه إن نزلت نازلة كعدو وقحط ووباء وعطش وضرر ظاهر في المسلمين ونحو ذلك قنتوا في جميع الصلوات المكتوبة»[٣].

ولذلك ورد عن النبي ﷺ الكثير من أدعية التحصين اليومية والتي يمكن ترديدها لرفع الوباء والبلاء، وإذا حافظ المسلم عليها فإنه يحفظ نفسه من أي مكروه يمكن أن يصيبه، فعن أبي هريرة قال:«كان

(١)سورة:(الأنعام)، الآية:(٤٢).

(٢) جامع البيان (١١/ ٣٥٤) بتصرف.

(٣)شرح النووي على مسلم (٥/ ١٧٦).

رسول الله ﷺ يتعوذ من جهْد البلاء، ودَرَك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء»[١]، وعن عبد الله بن عمر قال:«كان من دعاء رسول الله ﷺ :«اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفُجَاءة نقمتك[٢]، وجميع سخطك»»[٣]، وعن عثمان بن عفان قال:«سمعت رسول الله ﷺ يقول:«مَن قال بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات لم تصبه فجأة بلاء حتى يصبح، ومن قالها حين يصبح ثلاث مرات لم تصبه فجأة بلاء حتى يمسي»»[٤].

فينبغي للعبد المؤمن عند حلول المصائب والأوبئة والأمراض أن يكثر من الدعاء والتذلل بين يدي الله والخضوع له لدفع المضرة والوباء، فإن الله تعالى يحب الإلحاح في الدعاء، قال تعالى:﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[٥] أي: تضرعوا إليَّ بالدعاء وتقربوا إليَّ بالطاعات أستجب لكم ولا أخيب لكم رجاء[٦]، قال ابن كثير :«هذا من فضله تبارك وتعالى وكرمه أنه ندب عباده إلى دعائه وتكفل لهم بالإجابة»[٧]، ولو أن المسلمين اليوم حافظوا على هذه الوصايا القرآنية والنبوية لحَمُوا أنفسهم من كثير من العلل والأمراض والأسقام.

---

(١)أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ٧٥، ح: ٦٣٤٧)، كتاب: الدعوات، باب: التعوذ من جهد البلاء.

قوله:«ودرك الشقاء»-بفتح الدال والراء المهملتين ويجوز سكون الراء- وهو الإدراك واللحاق، والشقاء: هو الهلاك، ويطلق على السبب المؤدي إلى الهلاك. فتح الباري (١١/ ١٤٨) .

(٢) قوله:«وفجأة نقمتك»: الفجأة -بفتح الفاء وسكون الجيم مقصور، وبضم الفاء وفتح الجيم والمد-: ما فاجأك بغتة بغير مقدمة. إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/ ٢٣٣)، وسبل السلام (٢/ ٧١٢) .

(٣)أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٩٧، ح: ٢٧٣٩) كتاب: الرقاق، باب: أكثر أهل الجنة الفقراء.

قال الصنعاني:«وزوال النعمة لا يكون منه تعالى إلا بذنب يصيبه العبد، فالاستعاذة من الذنب في الحقيقة، كأنه قال: نعوذ بك من سيئات أعمالنا، وتحول العافية انتقالها، ولا يكون إلا بحصول ضدها وهو المرض». سبل السلام (٢/ ٧١٢) بتلخيص

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (٤/ ٣٢٣، ح: ٥٠٨٨)، أبواب: النوم، باب: ما يقول إذا أصبح.

(٥) سورة:(غافر)، من الآية:(٦٠).

(٦)التفسير الوسيط، د/ محمد سيد طنطاوي (١٢/ ٣٠٤).

(٧)تفسير القرآن العظيم (٧/ ١٥٣).

المطلب الثاني: الجانب الإيماني وأثره في التعامل مع الأوبئة والأمراض.

ينبغي للمؤمن عند حدوث المصائب والأوبئة والأمراض أن يتسلح بعدة جوانب إيمانية من أهمها:

١) الرضا بقضاء الله وقدره:

من أعلى مقامات الإيمان رضا العبد بقضاء الله وقدره الجاري على خلاف مراده ومحبته، وهذا مثل: المرض والفقر والأذى والآلام والأوبئة وغير ذلك من أنواع المصائب والابتلاءات، كل هذا يدعو المؤمن إلى الرضا به وتقبله وتحقيق إيمانه فيه، قال النبي ﷺ:«عجِبتُ للمؤمن، إن الله لا يقضي للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له»(١)، قال الراغب:«رضا العبد عن الله: أن لا يكره ما يجري به قضاؤه، ورضا الله عن العبد: هو أن يراه مؤتمرا لأمره ومنتهيا عن نهيه»(٢).

فينبغي للعبد المؤمن إذا نزلت به المصائب والأوبئة والأمراض أن يرضى ويسلِّم بكل ما يقدره الله له؛ لأن الرضا بمقادير الله تعالى طريق إلى الفوز برضوان الله ﷻودليل على كمال الإيمان، قال تعالى:﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾(٣)، قال علقمة:«هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيُسَلِّم لها ويرضَى»(٤)، ولذلك حثنا النبي ﷺ على الرضا بالقضاء والقدر فقال:«عِظَم الجزاء مع عِظَم البلاء، وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضِي فله الرضا ومن سخِط فله السُّخْط»(٥).

ولكي يتحقق في قلب العبد المؤمن الرضا بقضاء الله وقدره عليه أن يداوم على ذكر الله وطاعته بإخلاص، وقد دعا القرآن الكريم إلى ذلك في غير موضع من آياته، قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا

---

(١)أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٠/ ٢٥٤، ح: ١٢٩٠٥) عن أنس، قال شعيب الأرنؤوط:«حديث صحيح».

(٢)المفردات في غريب القرآن (ص: ٣٥٦).

(٣)سورة:(التغابن)، من الآية:(١١).

(٤)جامع البيان (٢٣/ ٤٢١).

(٥)أخرجه ابن ماجة في سننه (٢/ ١٣٣٨، ح: ٤٠٣١) عن أنس بن مالك، كتاب: الفتن، باب: الصبر على البلاء.

كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾[1]، قال الإمام ابن كثير:«يقول تعالى آمِرًا عباده المؤمنين بكثرة ذكرهم لربهم تعالى المنعم عليهم بأنواع النعم وأصناف المنن؛ لما لهم في ذلك من جزيل الثواب وجميل المآب»[2].

فهذه الطهارة القلبية بالذكر والتسبيح والدعاء وإخلاص العبادة لا تقل شأنا عن الطهارة الظاهرية في مواجهة الأوبئة والأمراض، وقد تكلم العلماء في هذا الشأن، قال الإمام الشافعي:«أحسن ما يُداوَى به الطاعون التسبيح، ووجهه أنه يدفع العذاب، قال الله تعالى:﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾[3]»[4].

٢) الصبر على البلاء واحتساب الأجر والثواب[5]:

لقد حثنا الشرع الشريف على الصبر في حال البلايا والمصائب، واحتمال المكاره وعدم التسخط والجزع، فكل ما يصيب المسلم هو من أقدار الله المقدرة له منذ الأزل، قد سبق بذلك علمه، وجرى به قلمه، ونفذت به مشيئته، واقتضته حكمته، قال بعضهم:«الصبر على المكاره من علامات الأنبياء، فمن صبر على مكروه أو مصيبة ولم يجزع أورثه الله حالة الرضى وهي من أَجَلِّ الأحوال، ومن جزع من المصائب وشكا وكَلَه الله إلى نفسه ولم تنفعه شكواه»[6].

وعلى ذلك فإن العبد المؤمن إذا ابتُلِيَ فصبر واحتسب ورضِي بما أصابه أعطاه الله جزاء صبره ورضاه ثوابا عظيما وأجرا كبيرا، ولهذا أثنى رب العالمين على الصابرين وضمن لهم أعظم الجزاء فقال

---

(١) سورة:(الأحزاب)، الآيتان:(٤١-٤٢).

(٢)تفسير القرآن العظيم (٦/ ٤٣١).

(٣) سورة:(الصافات)، الآية:(١٤٣).

(٤) الفتاوى الفقهية الكبرى (٤/ ٢٩).

(٥) قال ابن الأثير:«الاحتساب في الأعمال الصالحة وعند المكروهات: هو البدار إلى طلب الأجر وتحصيله بالتسليم والصبر، أو باستعمال أنواع البر والقيام بها على الوجه المرسوم فيها طلبا للثواب المرجو منها». النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٣٨٢) .

وقال أبو البقاء الكفوي:«الاحتساب: هو طلب الأجر من الله بالصبر على البلاء مطمئنة نفسه غير كارهة له». الكليات (ص: ٥٧) .

(٦)دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (١/ ١٤٦).

سبحانه:﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[١] أي: إنما يعطِي الله أهل الصبر على ما لقوا فيه في الدنيا أجرهم في الآخرة بغير حساب[٢]، وعن عائشة زوج النبي ﷺ قالت:«سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون فأخبرني أنه عذاب يبعثه الله على من يشاء، وأن الله جعله رحمة للمؤمنين، ليس من أحد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابرا محتسبا يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له، إلا كان له مِثْل أجر شهيد»[٣].

قال الإمام القرطبي في سياق تعليقه على هذا الحديث:«وهذا تفسير لقوله عليه الصلاة والسلام:«الطاعون شهادة، والمطعون شهيد»[٤] أي: الصابر عليه المحتسب أجره على الله العالم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله عليه»[٥].

٣) أن يعلم المؤمن أن الأمور كلها بيد الله وحده:

يجب على العبد المؤمن أن يعلم يقينا أن أمور الكون كله بيد الله وحده، من عنده مصدرها وإليه مرجعها، فالملك ملكه والخلق خلقه، قال تعالى:﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[٦].

فإذا ابتلى الله عباده بأي نوع من البلاء فله في ذلك حكم ومقاصد من ورائها حساب وجزاء، ومن ذلك أن هذه المصائب تعد تكفيرا للسيئات ورفعا للدرجات، قال النبي ﷺ:«لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة

---

(١) سورة:(الزمر)، من الآية:(١٠).

(٢)جامع البيان (٢١/ ٢٧٠).

(٣) صحيح البخاري (٤/ ١٧٥، ح: ٣٤٧٤)، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: حديث الغار.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ١٣١، ح: ٥٧٣٢) عن أنس بن مالك بلفظ:«الطاعون شهادة لكل مسلم»، وفي رواية أخرى عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:«المبطون شهيد، والمطعون شهيد». صحيح البخاري (٧/ ١٣١، ح: ٥٧٣٣)، كتاب: الطب، باب: ما يُذكَر في الطاعون

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٣/ ٢٣٥).

(٦) سورة:(يونس)، الآية:(٣١).

في جسده وماله ونفسه حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة»[١].

كما أن هذه المصائب تعد ابتلاء من الله للعبد؛ ليظهر المؤمن الصابر الشاكر من الساخط الجازع، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾[٢] أي: ولنعاملنكم أيها الناس معاملة المختبر لكم بالتكاليف الشرعية المتنوعة حتى نبين ونُظهِر لكم المجاهدين منكم من غيرهم، والصابرين منكم وغير الصابرين ﴿وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾ أي: ونُظهِر أخباركم حتى يتميز الحسن منها من القبيح[٣].

من خلال ما سبق يتبين أن التربية القرآنية الوقائية بجانبيها (العقدي والإيماني) لها أعظم الأثر في تخفيف حدة الإصابة بالأوبئة القاتلة والأمراض المعدية، حيث إن ارتباط المؤمن بالمنهج الرباني يجعله يوقن بأن الدنيا دار ابتلاء والآخرة هي دار الجزاء، وأن كل ما يصيبه في الدنيا هو من تقدير اللهﷻ ، فعليه أن يرضى به ويسلِّم له تسليما.

(١) صحيح ابن حبان (٧/ ١٧٦، ح: ٢٩١٣) عن أبي هريرة، قال شعيب الأرنؤوط:«إسناده حسن».

(٢) سورة:(محمد)، الآية:(٣١).

(٣) التفسير الوسيط، د/ محمد سيد طنطاوي (١٣/ ٢٤٤).

الخاتمـــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله وكرمه تُرفَع الدرجات، وبمنه وجوده تُنال العطايا والهبات، والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد خير البريات، وبعد:

فإني أحمد الله واهب النعم المتفضل بالكرم، وأشكره على عظيم امتنانه ووافر عطائه أن وفقني لإتمام هذا البحث الذي أنفقت فيه جُل وقتي، وبذلت فيه قصارى جهدي، ويجدر بي من خلال معايشتي له أن أختمه بأهم النتائج والمقترحات التي توصلت إليها بعد عون الله وتوفيقه.

أولا: أهم النتائج المستخلصة من البحث:

١ – التعرف على معنى الوباء لغة واصطلاحا والفرق بينه وبين الطاعون.

٢ – المرض الوبائي: هو المرض الذي ينتشر بسرعة ويغطي مساحة كبيرة من الأرض، ويهاجم عددا كبيرا من الناس في وقت واحد تقريبا.

٣– التربية الوقائية عُرِّفَت بعدة تعريفات تتفاوت قليلا في مدلولاتها، والذي أميل إليه أنها: مجموعة الوسائل والأساليب المتخَذَة لحماية الفرد والمجتمع من المساوئ، وتحذيرهم من الوقوع في المهالك، وصيانتهم من الأمراض الحسية والمعنوية.

٤ – الحفاظ على النفس الإنسانية ووقايتها وسلامتها من الأوبئة والأمراض مقصد أساسي وضرورة حتمية من ضرورات الشرع الشريف.

٥ – يتسم المنهج القرآني التربوي الوقائي بسمات متعددة جعلته ينفرد عن أي منهج آخر في أي زمان ومكان، كل خصيصة منها تبرز جانبا مضيئا من جوانب محاسنه وغايات مقاصده، وهذا دليل على غاية تمامه ومنتهى كماله، وشموله لعموم الخلق ونفعه لهم في الدارين.

٦ – بيان أن الإسلام بتعاليمه القرآنية والنبوية قد سبق كل المنظمات في حرصه على وضع أسس وضوابط الحفاظ على النفس البشرية ووقايتها من الأوبئة والأمراض المعدية.

٧– بيان أن القرآن الكريم قد سبق الأبحاث العلمية الحديثة والتعاليم الطبية الخاصة بالنظافة والطهارة والوقاية من الأوبئة والأمراض بأكثر من ألف وأربعمائة عام.

٨- بيان أن الإسلام قد عُنِيَ عناية بالغة بصحة الأبدان وجمالها ونضارتها، وأنه قد جاء بما يحفظ للإنسان صحته وقوته، كما وضع نظرية الاعتدال في الطعام والشراب بقوله:﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ ﴾.

٩- أسبقية القرآن الكريم في تحريم الأطعمة والأشربة التي تحتوي على مسبِّبات الأمراض، وأن تحريم المولى ﷻ لهذه الأطعمة والأشربة لم يأت عبثا وإنما جاء ليحقق ضرورة حفظ النفس البشرية التي أمر الله بحفظها، كما يدل دلالة واضحة على أن القرآن الكريم المنزل على قلب النبي ﷺ منذ أربعة عشر قرنا من الزمان هو المعجزة الخالدة الذي لا يزال العلم الحديث يكشف لنا عن كثير من أسراره وإعجازه على مر الأيام والعصور، وبهذا ندرك أهمية التربية القرآنية الوقائية في صيانة المجتمع المسلم من انتشار الأوبئة والأمراض، ونوقن بذلك أن الحق ﷻ ما حرم على البشر شيئا إلا لضرر كبير علموه أو جهلوه.

١٠- القرآن الكريم والسنة النبوية هما المنهج التربوي الوقائي، من أخذ بهما وبتعاليمهما فقد حمى نفسه ومجتمعه من الأضرار والآفات الواقعة أو المتوقعة.

١١- المصائب والآلام والأوبئة والأمراض سنة إلهية ماضية في الأمم كلها كافرها ومؤمنها، وذلك لحكم سامية منها: تعذيب المنحرفين وتنبيه الغافلين إلى سلطان الله القاهر فوق عباده، لعل العباد أن يعودوا إلى ربهم قبل وقوع العذاب الأكبر عليهم في الآخرة إن لم يتوبوا، كذلك تكون هذه المحن والشدائد ابتلاء للمؤمنين وتطهيرا لهم ورفعا لدرجاتهم.

١٢- الأوبئة والأمراض التي تصيب الإنسان تحتاج إلى قلب سليم مليء بالإيمان والرضا واليقين والتوكل على الله وحده، وفي هذا الشأن يقول الحق سبحانه:﴿ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[1].

١٣- الأوبئة والأمراض وإن كان لها تأثير سلبي على حياة الإنسان فهي أيضا من الأهمية بمكان، حيث تغرس في المؤمن جوانب عقدية وإيمانية وفقهية عليه أن يعلمها ويتعلمها، فيسعد بذلك في دنياه، ويفوز بالأجر العظيم في أخراه، إن تلقاها بالصبر والرضا والتسليم لمولاه.

---

(١) سورة:(الأنعام)، الآية:(٤٣).

ثانيا: المقترحات:

١ – ضرورة التمسك بالمنهج الرباني (الكتاب والسنة) وما ورد فيهما من آثار تبين لنا كيفية التعامل مع المصائب والأوبئة والأمراض.

٢ – إخبار الناس بأن هذه الأمراض الفيروسية الوبائية ستتكرر بصور وأشكال مختلفة ليستعدوا لذلك بالتوبة والإنابة والرجوع إلى الله تعالى، والاجتهاد في إيجاد الدواء للداء، والأخذ بالإجراءات الاحترازية قبل حلول الوباء وبعده.

٣– عقْد ندوات علمية متخصصة ودورات مشتركة بين علماء الدين والطب لإبراز الإعجاز العلمي في الآيات القرآنية التي عُنِيت بالطب الوقائي، وضرورة ربط التعاليم الصحية بالعقيدة الإسلامية، وبيان كيف أن الإسلام بتعاليمه القرآنية والنبوية قد سبق كل المنظمات في حرصه على وضع القواعد الصحية لمواجهة الأوبئة القاتلة والأمراض الفتاكة.

وختاما: فإني لا أدعي أني قد وفَّيْتُ هذا الموضوع حقه، ولكن حسبي أني لَمَمْتُ أطرافه وجمعتُ متناثره، فإن وُفِّقْتُ فذلك بفضل من الله وحده، وإن كان غير ذلك فحسبي أني اجتهدت والخيرَ أردت، أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا البحث كاتبه وقارئه، وأن يكتب له القبول، وأن يجعله صالحا ولوجهه خالصا.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

١) آثار البلاد وأخبار العباد، المؤلف: زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت: ٦٨٢هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت.

٢) أثر التربية الوقائية في صيانة المجتمع الإسلامي، المؤلف: محمد أحمد ضياء الدين حسين، ط: دار الفرقان، عمان، الأردن، ط: الأولى، ٢٠٠٥م.

٣) إحياء علوم الدين، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة، بيروت.

٤) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المؤلف: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني (ت: ٩٢٣هـ)، الناشر: المطبعة الكبرى بالأميرية، مصر، ط: السابعة، ١٣٢٣ هـ.

٥) أسد الغابة في معرفة الصحابة، المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري عز الدين ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ)، المحقق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، ط: الأولى، سنة النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٦) أسواق الذهب، المؤلف: أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي (ت: ١٣٥١هـ)، الناشر: مطبعة الهلال، مصر، عام النشر: ١٩٣٢م.

٧) أصول الدعوة، المؤلف: عبد الكريم زيدان، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: التاسعة ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٨) أضواء على القرآن الكريم (بلاغته وإعجازه)، المؤلف: عبد الفتاح محمد محمد سلامة، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط: السنة الثانية عشر، ١٤٠٠هـ.

٩) إعجاز القرآن والسنة في الطب الوقائي والكائنات الدقيقة، تأليف: د/ عبد الجواد الصاوي، دار جياد للنشر والتوزيع، السعودية، ط: الأولى، ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م.

١٠) إكمال المُعْلِم بفوائد مسلم، المؤلف: أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي (ت: ٥٤٤هـ)، المحقق: د/ يحيى إسماعيل، الناشر: دار الوفاء، مصر، ط: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

١١) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ التميمي (ت: ٣٥٤هـ)، حققه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٢) الأدب المفرد، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (ت: ٢٥٦هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط: الثالثة، ١٤٠٩ - ١٩٨٩م.

١٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية، المؤلف: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج المقدسي الحنبلي (ت: ٧٦٣هـ)، الناشر: عالم الكتب، بدون تاريخ الطبع.

١٤) الأسس المنهجية عند المحدثين، بحث للدكتور/ سامح عبد الله عبد القوي، منشور ضمن حولية كلية أصول الدين بالقاهرة، المجلد الأول، العدد الحادي والثلاثون، ١٤٤٠هـ ٢٠١٨م.

١٥) الإسلام والوقاية من الأمراض، المؤلف: د/ عز الدين فراج، ط: دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، الثانية، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

١٦) الإصابة في تمييز الصحابة، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٥هـ.

١٧) الأعلام، المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، الناشر: دار العلم، ط: الخامسة عشر، مايو ٢٠٠٢ م.

١٨) الإعجاز الطبي في الحديث النبوي، المؤلف: زياد عواد أبو حماد، رسالة دكتوراة بجامعة أم درمان الإسلامية، ١٤٠٦هـ - ١٩٩٥م.

١٩) الإعجاز الطبي في القرآن الكريم، بحث منشور بمجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، إعداد: د/ جمعة سمين قادر، المجلد السابع، العدد الثالث لعام ٢٠١٢م.

٢٠) الإعجاز العلمي في الإسلام (القرآن الكريم)، المؤلف: محمد كامل عبد الصمد، الناشر: دار الكتب الحديثة، ط: الثانية، ١٩٩٣م.

٢١) الإعجاز العلمي في السنة النبوية، المؤلف: د/ زغلول النجار، ط: دار نهضة مصر، الخامسة، ٢٠١٢م.

٢٢) الإعجاز العلمي في الصيام، تأليف: د/ عبد الجواد الصاوي، ضمن أبحاث موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، تأليف: يوسف الحاج أحمد، ط: مكتبة ابن حجر، الثانية، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

٢٣) الإعجاز العلمي في القرآن، المؤلف: السيد الجميلي، ط: مكتبة الهلال، بيروت، الأولى، ٢٠٠٠م.

٢٤) الأمراض الجنسية عقوبة إلهية، المؤلف: د/ عبد الحميد القضاة، ط: الثانية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

٢٥) بحوث ودراسات في اللهجات العربية، المؤلف: نخبة من العلماء، من إصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

٢٦) بذل الماعون في فضل الطاعون، المؤلف: الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: أحمد عصام عبد القادر، ط: دار العاصمة، الرياض.

٢٧) البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط: ١٤٢٠هـ.

٢٨) البداية والنهاية، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.

٢٩) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، المحقق: د/ بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣م.

٣٠) تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بمرتضى الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

٣١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (ت: ١٣٥٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٢) تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، المؤلفون: العراقي، وابن السبكي، والزبيدي، استخراج: أبي عبد الله محمود بن محمد الحداد، الناشر: دار العاصمة، الرياض، ط: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٣٣) تذكرة الموضوعات، المؤلف: محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي (ت: ٩٨٦هـ)، الناشر: إدارة الطباعة المنيرية، ط: الأولى، ١٣٤٣هـ.

٣٤) تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل، المؤلف: أبو البركات حافظ الدين عبد الله بن أحمد بن محمود (ت: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٣٥) تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة، ط: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

٣٦) تفسير المراغي، المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)، الناشر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦م.

٣٧) تفسير الشعراوي، المؤلف: محمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم.

٣٨) تفسير آيات الأحكام، المؤلف: محمد علي السايس، المحقق: ناجي سويدان، الناشر: المكتبة العصرية، تاريخ النشر: ١/ ١٠/ ٢٠٠٢م.

٣٩) تفوق الطب الوقائي في الإسلام، تأليف: د/ عبد الحميد القضاة، بحث ضمن المؤتمر العلمي الأول عن «الإعجاز العلمي في القرآن والسنة» بالجامعة الإسلامية العالمية، إسلام أباد، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٤٠) تقريب التهذيب، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، المحقق: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد، سوريا، ط: الأولى، ١٤٠٦ - ١٩٨٦م.

٤١) تهذيب الأسماء واللغات، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، يطلب من: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٤٢) تهذيب التهذيب، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط: الأولى، ١٣٢٦هـ.

٤٣) التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، المؤلف: علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي الحنبلي (ت: ٨٨٥هـ)، المحقق: د/ عبد الرحمن الجبرين، د/ عوض القرني، د/ أحمد السراح، الناشر: مكتبة الرشد، السعودية / الرياض، ط: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٤٤) التحرير والتنوير، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر، تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ.

٤٥) التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٤٦) التفسير البسيط، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، الناشر: عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود، ط: الأولى، ١٤٣٠ هـ.

٤٧) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر، الفجالة،

القاهرة، ط: الأولى، تاريخ النشر: ١٩٩٨م.

٤٨) التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها، رسالة ماجستير للباحث/ خليل بن عبد الله بن عبد الرحمن الحدري ، بكلية التربية بمكة المكرمة، ط: جامعة أم القرى، ١٤١٨هـ.

٤٩) جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٥٠) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السلامي البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط، وإبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: السابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٥١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه «صحيح البخاري»، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت:٢٥٦)، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٥٢) الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: سمير البخاري، الناشر: دار عالم الكتب بالرياض، ط: ١٤٢٣هـ -٢٠٠٣م.

٥٣) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، المؤلف : عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ط: الأولى ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.

٥٤) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، المؤلف: عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي (ت: ١٣٣٥هـ)، حققه ونسقه وعلق عليه حفيده: محمد بهجة البيطار- من أعضاء مجمع اللغة العربية، الناشر: دار صادر، بيروت، ط: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

٥٥) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومَن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر «تاريخ ابن خلدون»، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن خلدون أبو زيد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت: ٨٠٨هـ)، المحقق: خليل شحادة، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط: الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٥٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، المؤلف: محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري

الصديقي الشافعي (ت: ١٠٥٧هـ)، اعتنى بها: خليل مأمون، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط: الرابعة، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

٥٧) ذيل طبقات الحفاظ للسيوطي، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، المحقق: الشيخ/ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية.

٥٨) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٥٩) زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

٦٠) الزنا وعواقبه وسبل الوقاية منه في ضوء القرآن الكريم، المؤلف: د/ رياض محمود جابر قاسم، بحث مقدم إلى كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية بغزة، المجلد السادس عشر، العدد الثاني.

٦١) سنن ابن ماجة، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ت: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، بدون تاريخ الطبع.

٦٢) سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي (ت: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

٦٣) سنن الترمذي، المؤلف: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرون، الناشر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط: الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٦٤) سير أعلام النبلاء، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

٦٥) سبل السلام، المؤلف: أبو إبراهيم عز الدين محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني الكحلاني ثم الصنعاني (ت: ١١٨٢هـ)، الناشر: دار الحديث، ط: بدون طبعة وبدون تاريخ.

٦٦) السنن الكبرى، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي (ت: ٣٠٣هـ)،

حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٦٧) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، المؤلف: شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت: ٩٧٧هـ)، الناشر: مطبعة بولاق بالقاهرة، عام النشر: ١٢٨٥هـ.

٦٨) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المؤلف: أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي (ت: ١٠٨٩هـ)، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٦٩) شرح مختصر خليل للخرشي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخرشي المالكي (ت: ١١٠١هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة، بيروت، ط: بدون طبعة وبدون تاريخ.

٧٠) شعب الإيمان، المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، حققه وخرج أحاديثه: د/ عبد العلي عبد الحميد حامد، الناشر: مكتبة الرشد بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ م.

٧١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم، بيروت، ط: الرابعة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٧٢) الصلاة رياضة النفس والجسد، المؤلف: مختار سالم، ط: المركز العربي الحديث، القاهرة، بدون تاريخ.

٧٣) طبقات المفسرين، المؤلف: محمد بن علي بن أحمد شمس الدين الداوودي المالكي (ت: ٩٤٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر.

٧٤) الطب النبوي، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، المحقق: مصطفى خضر دونمز التركي، الناشر: دار ابن حزم، ط: الأولى، ٢٠٠٦ م.

٧٥) الطب النبوي، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، المحقق: السيد الجميلي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٧٦) الطب الوقائي في الإسلام، المؤلف: د/ أحمد شوقي الفنجري، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: الثالثة، ١٩٩١م.

٧٧) الطب الوقائي في السنة النبوية، بحث مقدم إلى جامعة الخرطوم لنيل ماجستير الآداب في الدراسات الإسلامية، إعداد الطالبة/ هند الزبير بابكر سليمان.

٧٨) الطب الوقائي للمحافظة على الصحة العامة، تأليف: د/ عبد الباسط محمد السيد، الناشر: ألفا للنشر والإنتاج الفني، ٢٠٠٥م.

٧٩) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (ت: ٨٥٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٨٠) العين، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠ هـ)، المحقق: د/ مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

٨١) العبر في خبر من غبر، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، المحقق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

٨٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي (٨٥٢هـ)، الناشر: دار المعرفة، بيروت، رقَّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب.

٨٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي المناوي (ت: ١٠٣١ هـ)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط: الأولى، ١٣٥٦هـ.

٨٤) فتح المنعم شرح صحيح مسلم، المؤلف: الأستاذ الدكتور/ موسى شاهين لاشين، الناشر: دار الشروق، ط: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

٨٥) الفتاوى الفقهية الكبرى، المؤلف: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري (ت: ٩٧٤هـ)، الناشر: دار الفكر.

٨٦) القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية، المؤلف: أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي المالكي (ت:٧٤١هـ)، تحقيق: أ.د/ محمد بن سيدي محمد مولاي، ط: بدون طبعة وبدون تاريخ.

٨٧) القاموس المحيط، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة،

بيروت، لبنان، ط: الثامنة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٨٨) القرآن الكريم دليلك إلى الصحة، المؤلف: د/ حسام الدين أبو السعود، بدون تاريخ النشر.

٨٩) كيفية مواجهة الأوبئة في ضوء تعاليم السنة المشرفة، المؤلف: د/ أحمد نبوي أحمد مخلوف، بحث بمجلة قطاع أصول الدين، العدد الخامس عشر، سنة ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م.

٩٠) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، المؤلف : الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن الذهبي الدمشقي (ت:٧٤٨هـ)، الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علوم القرآن جدة.

٩١) الكامل في التاريخ، المؤلف: أبو الحسن عز الدين ابن الأثير علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت: ٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٩٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، المؤلف: العلامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت: ٥٣٨ هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٩٣) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني الكفوي أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش، ومحمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت.

٩٤) لسان العرب، المؤلف: أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، ط: الثالثة، ١٤١٤هـ.

٩٥) لمعة الاعتقاد، المؤلف: عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بـ(ابن قدامة المقدسي) (ت: ٦٢٠هـ)، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ط: الثانية، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٩٦) اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة المعروف بـ(التذكرة في الأحاديث المشتهرة)، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي (ت: ٧٩٤هـ)، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

٩٧) مباحث في علوم القرآن، المؤلف: مناع بن خليل القطان (ت: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط: الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٩٨) مبادئ في الصحة العامة، المؤلف: حكمت فريجات، ط: دار المستقبل، عمان، الأردن، ط: الأولى، ١٩٩٠م.

٩٩) مجمل اللغة، المؤلف: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (ت: ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٠٠) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م.

١٠١) المحلى بالآثار، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت: ٤٥٦هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط: بدون طبعة وبدون تاريخ.

١٠٢) المحكم والمحيط الأعظم، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، (ت: ٤٥٨هـ)، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٠٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

١٠٤) مختار الصحاح، المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، ط: الخامسة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٠٥) مختصر طبقات الحنابلة، المؤلف: العلامة الشيخ/ محمد جميل بن عمر البغدادي المعروف بـ(ابن شَطِّي)، الناشر: دار الكتاب العربي، ط: الأولى، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

١٠٦) مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، المؤلف: صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق ابن شمائل القطيعي البغدادي الحنبلي (ت: ٧٣٩هـ)، الناشر: دار الجيل، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٢هـ.

١٠٧) مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الحديث، القاهرة، ط: الأولى، ١٤١٦ هـ، ١٩٩٥م.

١٠٨) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء

التراث العربي، بيروت.

١٠٩) المستدرك على الصحيحين، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

١١٠) مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة، المؤلف: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعي (ت: ٨٤٠هـ)، المحقق: محمد المنتقي الكشناوي، الناشر: دار العربية ، بيروت، ط: الثانية، ١٤٠٣هـ.

١١١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي (ت: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت.

١١٢) معاني القرآن وإعرابه، المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب، بيروت، ط: الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١١٣) معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١١٤) معجم البلدان، المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م.

١١٥) معجم اللغة العربية المعاصرة، المؤلف: د/ أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، ط: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

١١٦) مع الطب في القرآن الكريم، المؤلف: د/ عبد الحميد دياب، د/ أحمد قرقوز، الناشر: مؤسسة علوم القرآن، دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

١١٧) من علم الطب القرآني، المؤلف: د/ عدنان الشريف، ط: دار العلم، الأولى، ١٩٩٠م.

١١٨) المعجم الأوسط، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق عوض الله محمداً عبد المحسن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين، القاهرة.

١١٩) المعجم العربي الأساسي للناطقين بالعربية ومتعلميها، تأليف وإعداد: جماعة من كبار اللغويين

العرب بتكليف من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بدون تاريخ الطبع ومكان الطبع.

١٢٠) المعجم الوسيط، المؤلف: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، دار النشر: دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.

١٢١) مفاتيح الغيب، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بـ«فخر الدين الرازي» (ت: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الثالثة، ١٤٢٠ هـ.

١٢٢) المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بـ«الراغب الأصفهاني» (ت: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٢ هـ.

١٢٣) المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، المؤلف: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (ت: ٩٠٢هـ)، المحقق: محمد عثمان الخشت، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

١٢٤) مناهل العرفان في علوم القرآن، المؤلف: محمد عبد العظيم الزرقاني (ت: ١٣٦٧هـ)، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط: الثالثة.

١٢٥) مناهج البحث العلمي، المؤلف: د/ عبد الرحمن بدوي، الناشر: وكالة المطبوعات بالكويت، ط: الثالثة، ١٩٧٧م.

١٢٦) مناهج البحث العلمي في الإسلام، المؤلف: د/ غازي حسين عناية، الناشر: دار الجيل، ط: الأولى.

١٢٧) مناهج التربية الإسلامية، المؤلف: د/ماجد عرسان الكيلاني، ط: عالم الكتب، الأولى، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

١٢٨) منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع، المؤلف: محمد السيد محمد يوسف، الناشر: دار السلام، القاهرة، ٢٠٠٧م.

١٢٩) منهج القرآن الكريم في الأطعمة وأثره في الوقاية من الأمراض دراسة موضوعية، المؤلف:د/ هناء أحمد محمود محمد، بحث منشور بمجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور،

العدد الخامس، الجزء السابع ٢٠٢٠م.

١٣٠) من علم الطب القرآني، المؤلف: د/ عدنان الشريف، ط: دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الأولى، ١٩٩٠م.

١٣١) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.

١٣٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الثانية، ١٣٩٢هـ.

١٣٣) موسوعة الإعجاز العلمي في سنة النبي الأمي، المؤلف: حمدي عبد الله عبد العظيم الصعيدي، مكتبة أولاد الشيخ للتراث.

١٣٤) موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية.

١٣٥) الموافقات، المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بـ«الشاطبي» (ت: ٧٩٠هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن ، الناشر: دار ابن عفان، ط: الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٣٦) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المؤلف: تقي الدين المقريزي أحمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس الحسيني العبيدي (ت: ٨٤٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٨هـ.

١٣٧) المهيأ في كشف أسرار الموطأ، المؤلف: عثمان بن سعيد الكماخي (ت: ١١٧١ هـ)، تحقيق وتخريج: أحمد علي، الناشر: دار الحديث، القاهرة، عام النشر: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م.

١٣٨) الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن والسنة، المؤلف: أحمد مصطفى متولي، الناشر: دار ابن الجوزي، تاريخ الإصدار، ١ يناير ٢٠١٤م.

١٣٩) الموسوعة الطبية الفقهية، المؤلف: د/ أحمد محمد كنعان، ط: دار النفائس، الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

١٤٠) الموسوعة العربية العالمية، المؤلف: مجموعة من العلماء والباحثين، الناشر: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط: الثانية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

١٤١) الموسوعة العلمية في الإعجاز القرآني، المؤلف: د/ سمير عبد الحليم، ط: مكتبة الأحباب، بيروت، الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م. www.who.int/features/qa/plague/ar

١٤٢) الموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية على الإنترنت:

١٤٣) نيل الابتهاج بتطريز الديباج، المؤلف: أبو العباس أحمد بن أحمد بن الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن محمد التكروري السوداني (ت: ١٠٣٦ هـ)، عناية وتقديم: د/ عبد الحميد عبد الله الهرامة، الناشر: دار الكاتب، طرابلس، ليبيا، ط: الثانية، ٢٠٠٠ م.

١٤٤) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤلف: أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي (ت: ٨٧٤هـ)، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.

١٤٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٤٦) النور السافر عن أخبار القرن العاشر، المؤلف: محي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروس (ت: ١٠٣٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٥هـ.

١٤٧) الوافي بالوفيات، المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت: ٧٦٤هـ)، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث، بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

١٤٨) الوقاية الصحية في السنة النبوية دراسة موضوعية، رسالة ماجستير بجامعة الجزائر، كلية العلوم الإسلامية، إعداد الطالب: العيد بلالي.

فهرس الموضوعات

المحتويات

ملخص البحث ٩٧
المقدمـــة ٩٩
التمهيـــد ١٠٤
المطلب الأول: التعريف بمفردات عنوان البحث. ١٠٤
المبحث الأول: عناية الإسلام بالصحة العامة ومشروعية الوقاية من الأوبئة والأمراض .. ١٢٤
المبحث الثاني: سمات المنهج القرآني الوقائي وخصائصه..... ١٣٦
المبحث الثالث : معالم التربية الوقائية في القرآن الكريم ١٤٥
المطلب الأول :معالم وقائية خاصة بالفرد. ١٤٥
المطلب الثاني: معالم وقائية خاصة بالمجتمع..... ١٦٤
المبحث الرابع: قواعد قرآنية وقائية..... ١٨٤
المطلب الأول: الجانب العقدي وأثره في التعامل مع الأوبئة والأمراض..... ١٨٤
المطلب الثاني: الجانب الإيماني وأثره في التعامل مع الأوبئة والأمراض. ١٩١
الخاتمـــة..... ١٩٥
فهرس المصادر والمراجع..... ١٩٨
فهرس الموضوعات ٢١٢